جامعة جرش

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي

Vision and Forming in Poet of AboAlhassan Altouhami

إعداد الطالب

ثائر علي عبداللطيف جمعة

إشراف

د. جودي فارس البطاينة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة جرش

٢٠١٦

التفويض

أنا ثائر علي عبداللطيف جمعة، أفوض جامعة جرش بتزويد نسخة من رسالتي والمعنونة ب – الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي–، للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:.....

التاريخ: ٢٣–٨–٢٠١٦م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة والمعنونة بـ: (الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي) وأجيزت بتاريخ.....

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتورة: جودي البطاينة:	**مشرفة ورئيسة**
الأستاذ الدكتور عبد الرحيم المراشدة:	**عضواً**
الأستاذ الدكتور: علي المومني	**عضواً**

الإهداء

إلى الغائبين الحاضرين أبي وأمي.

وإلى الأخوة الكرام.

وإلى الأبناء الأعزاء: جنى، لجين، علي.

وإلى أم علي

إلى الأصدقاء وخصوصاً: علي، حمزة، معتز، محمد.

إلى كل الأحبة والأصحاب.

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل على ما من به علي من إتمام هذا البحث، مع رجائي أن يجعله مخلصا لوجهه الكريم.

إيمانا بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان لأصحاب المعروف أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لكل من ساعدني وأخص بالذكر من أنار هذا العمل بالنصح الكبير والتوجيه وكان له اليد الطولى بعد الله بإنجاح هذا العمل أستاذتي ومشرفتي الفاضلة: جودي البطاينة حفظها الله وأيدها بنصره وتوفيقه وجزاها عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذيَ الفاضلين عضويْ لجنة المناقشة الموقَريْن:

الأستاذ الدكتور عبد الرحيم المراشدة، والأستاذ الدكتور علي المومني.

والله ولي التوفيق

الباحث

ثائر علي جمعة

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

التفويض..... أ

قرار لجنة المناقشة..... ب

الإهداء..... ت

شكر وتقدير..... ث

فهرس المحتويات..... جـ

الملخص..... ..ذ

المقدمة..... ١

التمهيد.....٤

الفصل الأول: حياة الشاعر وعصره وفيه محاور.....٦

المبحث الأول:

حياة الشاعر، وفيه محاور:

- المحور الأول: اسمه نسبه ومولده..... ٨
- المحور الثاني: صفاته..... ٩
- المحور الثالث: الأماكن التي زارها والأعلام الذين التقى بهم..... ١٣
- المحور الرابع تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية.....١٩

- المحور الخامس: تأثره بالشعراء ٢١
- المحور السادس: وفاته.....٢٨
- المحور السابع: ديوانه وأغراضه الشعرية.....٢٩

المبحث الثاني:

عصر الشاعر، وفيه محاور:

- المحور الأول: الحياة السياسية.....٣٧
- المحور الثاني: الحياة الاجتماعية.....٤١
- المحور الثالث: الحياة الثقافية.....٤٥

الفصل الثاني: آفاق الرؤية في شعر التهامي.....٥٠

وفيه محاور:

- المحور الأول: آفاق الرؤية الفكرية.....٥١
- المحور الثاني: آفاق الرؤية الدينية والأخلاقية.....٦٣

الفصل الثالث: جماليات اللغة الشعرية:.....٧١

وفيه محاور:

المحور الأول: الألفاظ وخصائصها:.....٧٢

أ- أسلوب التعبير بلغة اللون.

ب- أسلوب التعبير بلغة البديع.

ت- أسلوب التكرار.

المحور الثاني: الألفاظ الشعرية.....٩٣

١- ألفاظ البيئة البدوية.

٢- ألفاظ البيئة الحضرية.

٣-ألفاظ الألفاظ الدينية.

٤-ألفاظ ألفاظ الطبيعة.

المحور الثالث: التراكيب وأنواعها.....١٠٥

الفصل الرابع: جماليات الصورة الفنية..... **١٠٩**

وفيه محاور:

المحور الأول: أدوات الصورة وأقسامها:.....١١١

أ- الإستعارة.

ب-التشبيه.

ت-الكناية.

المحور الثاني: أنماط الصورة الفنية.....١٢٦

المحور الثالث: مصادر الصورة الفنية.....١٢٩

المحور الرابع: وظائف الصورة الفنية.....١٣٦

الخاتمة.....١٤٦

المصادر والمراجع.....١٥٠

الملخص باللغة الانجليزية.....١٥٦

الملخص

الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي

هذه دراسة للشاعر العباسي أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (٣٦٠هـ – ٤١٦هـ)، الذي شاع صيته ذكره وملأ الأصقاع والأسماع، وهي دراسة أدبية فنية ونقدية عن الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي –.

هدفت هذه الدراسة إلى إظهار الجمال والفن في شعر التهامي، وذلك من خلال دراسة التهامي من حيث النشأة والتكوين والإطار التاريخي والإجتماعي والجغرافي الذي أحاط حياته، وكذلك العلوم والمعارف التي نهل الشاعر من نبعها، ودراسة الصفات والأخلاق والطباع والسجايا التي اتصف بها التهامي وأثرت إنْ بشكل مباشر وإنْ بشكل غير مباشر على ذائقة الشعر وشعره .

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول، هي:

- **الفصل الأول وفيه حياة الشاعر وعصره واسمه والإطار التاريخي الذي عاش فيه..**
- **الفصل الثاني وهو عن آفاق الرؤية عند التهامي،الرؤية من فكرية ودينية وأخلاقية.**

والفصل الثالث وهو عن جماليات اللغة الشعرية وتمت فيه دراسة الألفاظ وخصائصها على ودراسة التراكيب وأنواعها.

والفصل الرابع والأخير وهو عن أدوات الصورة وأقسامها من إستعارة وتشبيه وكناية جاء، وكذلك تمت دراسة أنماط ومصادر ووظائف الصورة الفنية عند التهامي وأخيراً جاءت الخاتمة والمصادر والمراجع التي أثرت الرسالة .

المقدمة

الحمد الله الذي شرّف العربية فجعلها لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنان، وأصلي وأسلم على النبي العدنان أشرف من نطق بالضاد الرسول الكريم والإمام المبين، وبعد:

فقد أحاط الله تعالى اللغة العربية بحائط لا يعلى وجدار لا يخرق، وأمال لها قلوباً وعطف عليها نفوساً وضعتها في المهج والأرواح، وأحاطتها بسواد العيون وشغاف القلوب، ودافعت عنها بالحد والحديد، والقضب والرطيب، وما هذه الدراسة عن الشاعر التهامي إلا استكمالاً لحلقات الدفاع عن العربية وإظهاراً للحب المكنون لها والتقدير الوافر لجمالها.

فقد شاء الله تعالى أن يكون عنوان هذه الرسالة –الرؤية والتشكيل في شعر أبي الحسن التهامي– وهو شاعر عباسي ولد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وتوفي في بداية القرن الخامس الهجري، وهو شاعر مجيد مشهور ، فقد اشتهر في عالم الأدباء والشعراء، فأحببت أن اكتب عنه للأسباب التالية:

١– أنه شاعر بلغ في المرتبة الطبقة العليا من شعراء عصره، فقد مكنته لغته الغزيرة، وثقافته الموسوعية، وخياله الواسع من تبوء المكانة العالية الرفيعة وهو مع شرف نسبه وعلو كعبه لم يصل من الشهرة إلى الحد الذي وصل إليه كثير من الشعراء ممن هم في طبقته أو أقل منه كثيراً فأحببت أن أساهم في إلقاء المزيد من الضوء على هذا الشاعر الفذ عرفاناً مني بفضله وشاعريته وخدمة العربية وشعرائها.

٢– عند الحديث عن التهامي وهو ابن القرنين الرابع والخامس الهجريين فأن ذلك يؤدي بنا للتطرق للحديث عن بعض الظروف والملابسات التي أحاطت بالشاعر والحديث عن مولده

ونسبه ونشأته وفي هذا أيضاً إلقاء مزيد من الضوء على الفترة الحرجة التي عاشها التهامي الزاخرة بالأحداث والصراعات.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على ديوان أبي الحسن التهامي تحقيق الدكتور علي نجيب عطوي نشر ودار مكتبة الهلال، بيروت سنة ١٩٨٦.

إلا قصيدة واحدة لم أجدها في هذا الديوان واستشهدت بها على التكرار في شعر التهامي وأخذتها من ديوان التهامي تحقيق الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٩٨٢م.

وقد بدأت هذه الرسالة بتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة معتمداً على المنهجيين الرئيسيين الاستقرائي والتحليلي وكنت إذا احتاجت الدراسة لمنهج آخر التزم به في وقته وحينه كالمنهج التاريخي عند الحديث عن حياة الشاعر ووفاته والمنهج الاحصائي عند الحديث عن التكرار عند الشاعر وهكذا.

وقد جاءت الرسالة على الشكل التالي: تمهيد تحدثت فيه عن العصر الذي عاش فيه التهامي وعن حياة الشاعر.

أما الفصل الأول فقد جعلت الحديث فيه عن الرؤية الفكرية والدينية والأخلاقية عند التهامي مستشهداً على ذلك من شعره.

والفصل الثاني تحدثت فيه عن جماليات اللغة في شعر التهامي مركزاً في حديثي على الألفاظ وخصائصها والتراكيب وبعض أشهر أنواعها.

وجاء الفصل الثالث لأتحدث فيه عن جماليات الصورة الفنية في شعر التهامي مبتدئاً بالحديث عن الصورة الفنية ثم عن أنواع ومصادر ووظائف الصورة الفنية عند التهامي وكل ذلك جاء مع التدلليل عليه من شعره.

وقد رأى الباحث أن تكون الدراسة شاملة ديوان التهامي كله لذلك لم أقتصر في دراستي على اختيار مجموعة من القصائد وبحثها، بل كان ديوان التهامي كله مسرح بحثي، لذلك يندر أن يجد القارئ قصيدة من قصائد التهامي لست مستشهداً منها ببيت أو أكثر.

ثم انهيت البحث بخاتمة مختصرة أجملت فيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج ملحقاً بها المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

وفي الختام لن أدّعي الكمال، لكني حافظت قدر الإمكان والطاقة على حدود المنهج الذي رسمته لهذا البحث.

والله المستعان وعليه التكلان.

التمهيد

الرؤية والتشكيل:

الرؤية: هي «النظرة العامة الشاملة المتماسكة المترابطة التي يقدمها الأديب من خلال أدبه، وهي رسالة تحمل في طياتها الآراء التي يشكلها من مجموعة الصور والمفردات، ضمن إطار أدبي يتناسب مع منظومة القيم التي يمتاز بها الأدب، سواء أكان ذلك الدب شعرًا أم نثرًا»[١].

التشكيل: هو« البنية اللسانية السطحية التي تجسد الرؤية، وتتشكل بمشيئتها وإرادتها، من حيث إنَّ البنية العميقة هي التي تسوس البنية السطحية وتتحكم في بنائها، وأما الواو التي تجمع بينهما فلإظهار العلاقة التفاعلية بين (الرؤيا/التشكيل)، أو بين البنية العميقة الدالة التي تجسد دلالات الخطاب الشعري وتصف منابعه[٢] ».

والتشكيل له عناصر ومن أهم عناصره اللغة الشعرية والصورة الشعرية، وكلاهما يتأثر بتحولات الرؤيا[٣].

« وتعد الرؤيا من الجوانب المهمة جدًا في دراسة الشعر ونقده، وتشكل عنصرًا كبيرًا للوقوف على التجربة الشعرية التي تتجاوز مظاهر الحياة في المجتمع إلى روح الذات الإنسانية وواقعها، الواقع الذي يستمد الشاعر منه مادته»[٤].

وهكذا نجد أن كلًا من الرؤيا والتشكيل تشتركان معًا في تشييد الأنموذج الشعري واستكمال بنائه[٥]

---

[١] هوج، برويز موسى أجمد زادة، الرؤيا والتشكيل الفني في الشعر الحديث العربي والفارسي، أحمد مطر ومهدي إخوان ثالث، نموذجًا، دراسة تطبيقية ومقارنة. رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ٢٠١٤م، ص٤

[٢] المرج السابق، ص٢.

[٣] انظر: القواسمة، هشام عطية، الرؤيا والتشكيل في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩م، ص١.

[٤] المرجع السابق، ص١.

[٥] عبيد، محمد صابر، رؤية الحداثة الشعرية، مطبعة السفير، عمان، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٣.

والشاعر يكون الرؤية عن طريق توظيف كافة الإمكانات والقدرات الفنية ، من صورة وأسطورة ورمز وإيقاع[١].

وهكذا فإننا نجد أن الرؤيا والتشكيل وجهان يشكلان معًا عملة واحدة نادرة، وهذان العنصران هما ما سوف تقوم على ضوئه هذه الدراسة بعون الله تعالى

[١] عساف، عبد الله، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا، دار دجلة، سوريا، ط١، ١٩٩٦م، ص١٦٥.

الفصل الأول

أولاً: حياة الشاعر

ثانياً: عصر الشاعر

الفصل الأول

حياة الشاعر وعصره

وفيه مباحث:

المبحث الأول:

حياة الشاعر، وفيه محاور

- المحور الأول: اسمه ونسبه ومولده
- المحور الثاني: صفاته
- المحور الثالث: الأماكن التي زارها والأعلام الذين التقى بهم
- المحور الرابع: تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية
- المحور الخامس: تأثره بالشعراء
- المحور السادس: وفاته
- المحور السابع: ديوانه وأغراضه الشعرية

المبحث الثاني:

عصر الشاعر، وفيه محاور

- المحور الأول: الحياة السياسية
- المحور الثاني: الحياة الاجتماعية
- المحور الثالث: الحياة الثقافية

المحور الأول: اسم الشاعر ونسبه ومولده(_٤١٦هـ)

«هو أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي المولود في مكة المكرمة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو زمن عصيب انفرط فيه عقد الخلافة العباسية، وانحل نظامها، فتوزعت إلى دويلات متناحرة، وممالك متصارعة»[١]. والتهامي منسوب الى تهامة وهي تطلق على مكة، ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم التهامي، وتطلق على البلاد التي بين الحجاز واطراف اليمن.[٢]

ولا نعرف بالضبط سنة ميلاده ولكن يمكننا تقديرها من خلال شعره، حيث يقول في قصيدة رثاء ولده أبي الفضل المعنونة بـ(هلال لم يكتمل):

على حينِ جزتُ الأربعين مُصَوِباً ولاحتْ نجومُ الشيبِ في ظُلَمِ الشَعْرِ[٣]

فالشاعر يعلن أنه رزء بفقد ولده حين جاز الأربعين، أي اجتازها وبدأ يصعد فيها، وفي هذا التعبير اشارة أنه بين الحادية والأربعين إلى الخامسة والأربعين من عمره، لأنه لو جاز الخامسة والاربيعن لقال: على حين ناهزت او قارفت أو قاربت أو شارفت الخمسين، وعلى ذلك فإن عمر التهامي حينما مات ولده تقدر بين (٤١-٤٥)، وإقامته في مدينة الرملة – وهي المدينة التي مات فيها ابنه – كانت من سنة (٤٠٤هـ – ١٠١٧م _ ٤١٠هـ-١٠٢٣م)، فإننا وبحسبة رياضية بسيطة، نستطيع أن نقدر سنة ميلاد التهامي وذلك بانقاص عمره المفترض حين وفاة ولده وليكن (٤١) سنة من سنة وجوده في الرملة وهي (٤٠٤هـ)، فتكون سنة ميلاده على وجه التقريب هي (٣٦٣هـ)، أو هي ما بين (٣٦٣هـ – ٣٥٩هـ) وقد توصل إلى نتيجة قريبة من هذه النتيجة نجوى عرفات في كتابها ابو الحسن التهامي حياته وشعره[٤].

---

١ – ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي، تاريخ دمشق، دمشق، سوريا، دار المكتبة الظاهرية، ط٦، ج١، ص(٥٣٧).

٢ عطوي، علي نجيب، ديوان التهامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، طبع سنة ١٩٨٦م، ص(٤٨٦)

٣ – التهامي، مصدر سابق، ص(٤٨٦)

٤ عرفات، نجوى صبحي كمال الدين، أبو الحسن التهامي وشعره، بيروت، لبنان، طبعة جامعة القديس يوسف، ص(١٢)

المحور **الثاني، صفاته:**

صفات التهامي من خلال شعره:

١- الأنفة وعزة النفس والمروءة فهو يقول في قصيدة يوجهها لأحد أصدقائه معاتباً له على شيْ جرى بينهما لم يفصح عنه الشاعر فيقول من قصيدة معنونة بـ: (لو حَرَّمَ الماء):

وَكَمْ مِنْ أخٍ لو حَرَّم الماءَ لم أكُنْ له ولو أَنِي مِتُ ظمآنًا شاربًا[١]

فالشاعر يقول لو إنّ أخاً لي حرم عليّ شرب الماء من عنده، والماء شريان الحياة، لم أكن لأشرب من هذا الماء ولو كان في ذلك نهايتي المحتومة وهذا يدل على مروءة كبيرة يتصف بها الشاعر وكبرياء، وضناً بنفسه عن مواطن الذل والإهانة.

وقد شابه في هذا البيت الشعري الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد في قوله:

لا تسْقِنِي ماءَ الحياةِ بذلةٍ بلْ فاسقِنِي بالعزِ كأسَ الحنظلِ[٢]

٢- حسن التصبر والمصابرة فهو يقول القصيدة نفسها

ومن ظنَّ أنْ لا بدَ منه أريتُهُ بصبري عنه ذلك الظَّنَ كاذباً[٣]

أي من أساء الظن بي فظنني بليدّا، لا تؤثر في الاهانة لأريته أني جلدٌ صابر وأنا في غناءٍ عن صداقته.

٣- الود للصديق والإخلاص له، فهو يقول القصيدة نفسها

أُبيحُ لِخِلِي من فؤادي جانبًا وأتركُ لِلْهِجران إنْ كانَ جانباً[٤]

فهو يحب خليله ويخلص له ويوده ولكن ما دام هذا الصديق يستحق الإخلاص والود والحب والإ فإنه قادر على الهجران لمن يستحق ذلك.

٤- البشر وطلاقة الوجه والوفاء حيث يقول من القصيدة نفسها:

١- التهامي، ديوانه، ص (٤٢٣).

٢ – بن شداد، عنترة، ديوان عنترة بن شداد، شرحه: عيد يوسف، دار الجيل، بييروت، لبنان، ط١، سنة١٩٩٢م، ص(٨٦).

٣ –التهامي، ديوانه، ص(٤٢٣).

٤ – المصدر السابق، ص(٤٢٣).

على أَنَنِي ألقاهُ بالبشرِ حاضرًا واحفظُهُ بالغيبِ إنْ كا نَ غائباً[١]

فهو يلقى صديقه بالابتسام والبشر إن حضر الصديق وهو وفي يحفظ صديقه في عرضه إن كان هذا الصديق غائباً ولم يوجد من يذب عنه.

٥- الطموح وطلب العلى والسؤدد وعظائم الامور والترفع عن سفاسف الأمور:

حيث يقول من قصيدة معنونة بـ: (الصديق الحر يعتبه الحر):

لعمري لقدْ طوَفت في طلب العُلَى وحالفني بَرُ وحالفني بحرُ

فَشَرَقتُ حتى لمْ اجدْ لي مشرِقا وغرَبتُ حتى قيلَ هذا هو الخضرُ

أَرُومُ جسِيماتِ الأمورِ وإنما قُصَارايَ أن أبْقَ اذا بقيَ الدهرُ[٢]

فالشاعر طاف أرجاء الأرض حتى بلغ أقصى المشرق وأقصى المغرب، وسافر في البر وركب البحر، متطلعاً لعظائم الأمور والخلود وليس مطلبه مال زائل بل أمور جسيمة وأقصى ما يريده أن يبقى اسمه ويخلد ذكره.

٦- الحذر والتثبت من الأمور حيث يقول من القصيدة نفسها:

حذَرْت زمانًا ثم أَوْقَعَنِي القَضَا وهلْ حَذَرٌ ينْجي إذا نفدَ العُمْرُ[٣]

فالشاعر حذر متثبت ولكن إذا وقع القضاء ضاق الفضاء، وليس من أمر الله تعالى مهرب.

٧- الهمة العالية والنفس الأبية، حيث يقول من قصيدة معنونة بـ: (يطير مطار الملوك)، وهي

١- التهامي، ديوانه، ص(٤٢٤).

٢ - التهامي، ديوانه، ص(٤٢٥).

٣ - التهامي، مصدر سابق، ص(٤٢٧).

من شعر السجون:

ومن كالثريا له هِمَةٌ وقدْ عُدَ ذلك منْ سُخْفَهِ[١]

فهمة الشاعر الثريا، ونفسه تناطح السماء، وقد عد الناس هذا الأمر من عيوب الشاعر لكن هذا الأمر في جبلة الشاعر راسخ كالجبال الرواسي.

٨- الزهد في الدنيا وحطامها والندم على جمعها، حيث يقول من قصيدة معنونة بـ: (السفر البعيد):

شَقِيت بما جمعتُ فليتَ شِعري ورائي من يكونُ به سعيداَ

أُعَايِنُ حسرةً اهلي ومالي إذا ما النفسُ جاوَزَتِ الوريداَ[٢]

فالشاعر يقول تعبت في جمع الدنيا وحطامها ولابد يوماَ من نزول الموت بي فيا ليت شعري هل يكون من يرثني أسعد حالاً بحالي مني إذا حان الموت وفات الفوت.

٩- التقوى حيث يقول م القصيدة نفسها:

أُعدُ الزادَ من تقوى فإنِي رأيت مَنِيتِي السفرَ البعيدا[٣]

فها هو الشاعر يعلن أن لا دواء لهذه الدنيا إلا بتقوى الله تعالى، فهو يأخذ أهبته ويعد زاده من التقوى فهو رأس المال وعليه المعول.

١٠- الشجاعة والإقدام حيث يقول من قصيدة معنونة بـ: (المرء تنب وبه الأحوال)

فذَرْنِي والطغاةِ فبينَ رمحي وبين قلوبِ أكثرهُمْ سِرارُ[٤]

فهو يقول مخاطبًا أحدهم: اتركني والظالمين أسوي حسابي معهم، لأن بعضهم يظن الحليم جبانا والحلم عجزا، فلا بد من تلقين الطغاة درسا لن ينسوه، ويترك في نفوسهم اثرا خالدا أبد الدهر، فرمحي سلاح ذكي إذا رميته عرف طريقه نحو قلوب أعدائي فنفذ فيهم وأرداهم قتلى على

---

١ -التهامي، ديوانه، ص(٤٢٩).

٢ -المصدر السابق، ص(٤٣٩).

٣ - المصدر السابق، ص(٤٣٩).

٤ - المصدر السابق، ص(٤٤٥).

سوء صنيعهم، وجهلهم وعدم تفريقهم بين الحلم والعجز.

١١- المبادرة إلى المجد وعدم التسويف وتفويت الفرصة حيث يقول من القصيدة نفسها:

إذا بَلَغَ الفتى عشرينَ عامًا وأَعْجَزَهُ الفخارُ فلا اعتذارُ[١]

فكأنه يخاطب نفسه ويحرضها على طلب العلا بأسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان.

وهكذا نرى التهامي متصفا بصفات جمة استخرجناها من خلال شعره، وعند الرجوع لكتب التاريخ والسير نجد ما قيل عنه مطابقا لما وصف به نفسه.

فقد وُصف بأنه له همة في معالي الامور «تسوس له رياسة الجمهور، وبأنه كان متدينا ورعا عف اللسان والقلم لم يهج أحدا في شعره، وقيل أنه كتب ديوان البحتري فلما وصل إلى بيت فيه هجاء لأحدهم توقف عن الكتابة وقال لا اكتب بيدي مثالب الناس»[٢].

فلله درك من شاعر فارس، طالب للمجد والشهرة والخلود، مع حفاظٍ على كرامة النفس ومروئتها ان تكدر أو تهان.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٤٥).

٢ –انظر: بن النجار، محب الدين البغدادي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص١٥٠.

المحور الثالث:

الأماكن التي زارها التهامي والأعلام الذين التقى بهم:

من خلال تتبع ديوان الشاعر فإننا نجد التهامي شاعرا رحالة جاب الآفاق ووصل إلى أمكنة كثيرة والتقى بأشخاص مهمين كثر، وسوف نورد هنا على شكل جدول الاشخاص الذين التقى بهم ومكان اللقاء إن وجد مع الغرض الشعري والبحر الشعري وعنوان القصيدة.

رقم القصيدة	الاعلام الذين التقى بهم	الغرض الشعري	المكان	البحر الشعري	عنوان القصيدة
١	ابو الفتح المظفر بن عبد الجبار	المديح		الكامل	لا خلق اعظم منه
٢	ابو العلاء المطهر بن عطاء	المديح		الرمل	حوى جودا ورأيا
٣	أبو يحيى محمد بن حيدر	المديح	طرابلس	المتقارب	فتى يقع المدح من دونه
٤	ابو العلاء المطهر بن عطاء	المديح		البسيط	عودا وبدءا
٥	الرئيس ابو عبد الله بن جعفر بن محمد المغربي	المديح	ميافارقين	الكامل	كنز الفقير ونجعة المتأدب
٦	هبة الله بن حيدر القاضي	المديح	طرابلس	الطويل	له القلم فيه المنية والمنى
٧	مفرج بن دغفل	المديح	الرملة	الطويل	أباد حماة القوم
٨	الأمير معتمد الدولة أب والمنيع قرواشا بن المقلد بن المسيب	المديح	طرابلس	الطويل	ذرني أشم انواره
٩	الممدوح مجهول	المديح		الطويل	الخوف بالنفس
١٠	ابو الحسن بن عبد الواحد القاضي	المديح		الكامل	ل ومس حجرا
١١	الحسين بن علي بن الحسين اب والقاسم المغربي	المديح		السريع	يعتصب المجد على نفسه
١٢	أبو القاسم هبة الله بن علي ابن حيدرة	المديح	طرابلس	الخفيف	لا تبمه في الجود

١٣	الشريف معتمد الدين	المديح	القاهرة سجن خزانة البنود	الكامل	يا ابن الأئمة
١٤	أبو محمد حسين بن حيدر	المديح		الكامل	متجللا ثوب الرئاسة
١٥	أبو محمد بن الحسن بن الجواد وقيل محمد بن سلامة	المديح	الكوفة	الكامل	قيامه في الفضل مثل قعوده
١٦	الأمير معتمد الدولة أب والمنيع قرواشا بن المقلد بن المسيب	المديح	الموصل	الطويل	غنى مغنينا بمدحك
١٧	أبو علي بن نافع الرملي شاعر	المديح	الرملة	الوافر	فكن حيث اشتهيت
١٨	محد بن محمود	المديح		الطويل	سيف الدولة الملك
١٩	عليا الطيموم	المديح		الطويل	له شم الجبال وهاد
٢٠	أبو الفضل عبدالله بن محمد	المديح		الطويل	مجدك في اعلى المازل
٢١	الشريف اب وعبدالله محمد بن الحسين النصيبي العلوي	المديح	دمشق	الخفيف	ملك بشره يبشر
٢٢	أبو عمر محمد بن الحسين البابلي	المديح	دمشق	البسيط	فيه المنى والمنايا
٢٣	الوزير أبو القاسم الحسين بن علي	المديح		الطويل	تاج الزمان
٢٤	بشر	المديح		الطويل	هل يغشى بأنواره البدر
٢٥	أبو طاهر عبيد الله بن دمنة المعروف بابن القماح	المديح	آمد	البسيط	لا يطلب الجود إلا من أناملة
٢٦	مفرج بن دغفل	المديح	الرملة	الطويل	سيبقى الي يوم

					القيامة منابره
٢٧	حيدر بن يملول	المديح		الكامل	ملك في كل أرض نعمة
٢٨	مجهول	المديح		الطويل	رفع الرحمن قدرك
٢٩	حسان بن جراح	المديح		الطويل	له منطق ينبيك عن بأسه
٣٠	محمد بن طهر	المديح		الطويل	له قلم يفري
٣١	بشر بن شبيب	المديح		الطويل	تحوز المنايا والمنى له انمل
٣٢	حسان بن المفرج	المديح	الرملة	الطويل	تخر له الاملاك
٣٣	الأمير عز الدولة	المديح		البسيط	عزيز دولة آل أحمد
٣٤	الحسين بن محمد بن علي بن طاهر الفرغاني	المديح		الكامل	المعالي مجدها عليك حبيسا
٣٥	ابو غانم البابلي	المديح	دمشق	الطويل	أتته العلى تسعى إليه
٣٦	الأمير معتمد الدولةاب والمنيع بن قرواش	المديح	الموصل	الوافر	أغر كغرة الفجر
٣٧	مجهول	المديح		الكامل	الهمام القائد
٣٨	الأمير محمد بن الحسن حسب ورود اسمه في القصيدة البيت ٢٠	المديح		الكامل	ملك يروقك منظرا
٣٩	الأمير محمد ابن الحسن	المديح		الكامل	هـ والربيع
٤٠	ابو غانم البابلي	المديح	دمشق	الخفيف	قلم دبر الأقاليم
٤١	مجهول		سجن القاهرة	الطويل	صغيرا تربيه المعالي
٤٢	أبو القاسم هبة الله بن علي بن حيدرة	المديح	صور	البسيط	يزين الدولة الغراء موضعه
٤٣	أبو القاسم هبة الله بن علي بن حيدرة البيت (١٣)	المديح	صور	الطويل	فضلك مشكور

٤٤	المفرج بن دغفل الجراح	المديح	الرملة	الوافر	شمس الهدى
٤٥	الأمير نصر الدولة أب ونصر بن مروان	المديح	ميافارقين	البسيط	شمس الهدى
٤٦	أبو طاهر عبدالله بن القماح	المديح	آمد	الطويل	أب وطاهر يحيى الندى
٤٧	مفرج بن دغفل	المديح	الرملة	الوافر	فتى جبلت يداه على العطايا
٤٨	أبو الحسن بن حيدرة القاضي	المديح	صور	الكامل	نور الهدى
٤٩	حسان بن جراح	المديح	الرملة	الطويل	تمام الملوك
٥٠	حميد بن محمود	المديح		الطويل	ه والجبل العالي
٥١	ابن الفرات	المديح		الكامل	لا فرق بين لسانه وحسامه
٥٢	مجهول	المديح		الكامل	يضيء طرر المدح من أكمامه
٥٣	الأمير اب وسنان غريب بن محمد ابن معين	المديح		الكامل	ملك يهين النفس في يوم الوغى
٥٤	الحسين بن هشام الحميدي	المديح	اليمن	الكامل	ورث المعالي
٥٥	الشريف عبك ابو الحسن بن غياث	المديح		الكامل	يا أيها الملك
٥٦	عميد الدولة محمد بن الحين ابن علي بن عبدالرحيم	المديح	بغداد	المتقارب	وقور يراع له هيبة
٥٧	مجهول	العتاب		الطويل	ل وحرم الماء
٥٨	صديق الشاعر يدعى محمد (البيت٩) اب وعبدالله محمد (البيت ١١)	شعر السجون	سجن القاهرة	الطويل	الصديق الحر يعتبه الحر
٥٩	يخاطب نفسه	شعر السجون	سجن	المتقارب	يطير مطار

			القاهرة		الملوك
٦٠	بدر اليماني	الإعتذار		السريع	مولاي مهلاً
٦١	يخاطب نفسه	الزهد		الوافر	السفر البعيد
٦٢	يخاطب نفسه	الفخر		الوافر	المرء تب وبه الأحوال
٦٣	يخاطب نفسه	الفخر		الطويل	سلاح ولكن لا يضر
٦٤	يخاطب نفسه	الفخر		السريع	سأطلب العلا
٦٥	المحبوبة	الغزل	العراق	المتقارب	ما طاعة الحب إلا أذى
٦٦	المحبوبة	الغزل		البسيط	أكرم به تابعاً ومتبوعاً
٦٧	يخاطب قلبه	الغزل		الكامل	يا قلب كيف علقت
٦٨	المحبوبة	الغزل		المتقارب	يا غزالاً أعار الغزال
٦٩	ابنه أب والفضل	الرثاء	الرملة	الكامل	يا كوكباً ما كان أقعد عمره
٧٠	ابنه أب والفضل	الرثاء	الرملة	الكامل	زمن كأم الكلب
٧١	ابنه اب والفضل	الرثاء	الرملة	الطويل	هلال لم يكتمل
٧٢	ابنه اب والفضل	الرثاء	الرملة	المتقارب	هلال على كوكب مشرق

وهكذا يرى أن التهامي المولود في مكة المكرمة والناشىء في اليمن والمرتحل إلى بغداد عاصمة الخلافة والمشتغل بالكتابة والخطابة في الرملة والمسجون في القاهرة، وفيما بعد المقتول فيها، يرى رحالة مغامراً مستكشفاً جاب الآفاق وزار كثيراً من الأماكن التي ذكرها في شعره كقوله في قصيدة معنونة بـ: (ورث المعالي) يمدح بها الحسن بن هاشم الحميدي:

ما أنتَ فاعِلهُ الغداةَ بشاعرٍ ... رثُ الثيابِ مشَعَثُ القَدَمينِ
قدْ طافَ في طلبِ العُلَى وادِى القُرى ... والعِزِ من عدنٍ إلى السَدَيْن
وإلى عُمان وفارسٍ ثم انْتَحَى ... بالرَي نحوَ جزيرةِ البحرينِ
وأقام في شيرازَ سبعةَ أشهرٍ ... وأنابَ من كلٍ بِخُف حنينِ[١]

يذكر هنا زيارته لوادي القرى وهو منطقة قريبة من المدينة المنورة، ويذكر عدن والسدين من أرض اليمن، ويذكر عمان وبلاد فارس، ومدينة الري وجزيرة البحرين ومدينة شيراز من بلاد فارس.

ويذكر زيارته لمصر وبلاد الشام في قصيدة معنونة بـ: (الصديق الحر يعتبه الحر) مخاطباً بها صديقاً له اسمه محمد:

أَتذكرُ إذ كُنَا لدى الدهرِ رُتَّعًا ... ومصرَ وأَرضِ الشامِ إذْ عيشُنَا نضْرُ[٢]

فهو يذكر صديقه محمد بالأيام الخوالي الجميلة يوم كانوا يرتعون معاً في مصر وبلاد الشام وعيشهم نضير وأمرهم جميع وزمانهم باسم لهم والدنيا مقبلة عليهم، وهكذا فإن ديوان التهامي فيه سبعًا وستين قصيدة منها خمسًا وخمسين قصيدة في المديح، مما يجعل نسبة المديح في ديوانه١،٨٢%، فالمديح عند التهامي يملأ ما مساحته ثمانون بالمائة من ديوانه مما يثبت أنه كان متكسبًا بمديحه طالًا للمال والنشب، وبقية الأغراض الشعرية نجد الشاعر ينشأ بها اثنتي عشرة قصيدة أي ما نسبته ٩،١٧%.

---

١ –التهامي، ديوانه، ص٤٠٨.

٢ –المصدر السابق، ص٤٢٥.

المحور الرابع:

تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية:

الأديب المبدع سواء كان شاعرا أم ناثرا هو المنغمس في البيئة التي يعيش فيها يؤثر فيها ويتأثر ويتفاعل معها في مختبر الواقع صانعا أنجع التجارب في حقل الإنسانية.

فالتهامي الشاعر نراه متأثرا بالقرآن الكريم حيث يقول من قصيدة السفر البعيد:

أُعدُ الزادَ من تقوى فإنِي رأيتُ مَنِيَتِي السفرَ البعيدا[١]

ونراه في قصيدة_ سأطلب العلا– يقول:

سأطلبُ العُلا بكل ليثٍ له زارٌ بذكرِ الله وحْدَه[٢]

حيث يبدو متأثرا بقوله تعالى: ﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾[٣]

وقوله من القصيدة نفسها:

له مما تصُوغُ الهندُ نابٌ ومما حَاكَهُ داوودُ لَبْدَه[٤]

نراه متأثرا بقوله تعالى حكاية عن داوود عليه السلام: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾[٥]

ونرى التهامي متأثرا كذلك بالحديث النبوي الشريف حيث يقول من قصيدة–يا كوكبا ما كان أقصر عمره–:

فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقْظَةٌ والمرءُ بينها خيالٌ سارِ[٦]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٣٩)

٢ – المصدر سابق، ص(٤٤٩)

٣ – سورة البقرة: آية ١٥٢

٤ التهامي، ديوانه، ص(٤٤٩)

٥ سورة الانبياء: آية ٨٠

٦ التهامي، ديوانه، ص(٤٦٢)

فالتهامي هنا يبدو متأثرا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنين احدكم الموت: إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب)[١].

ويقول القصيدة نفسها

طُبِعَتْ على كدرٍ وأنتَ تُرِيدُهَا صفوًا من الأقذاءِ والأكْدَارِ[٢]

لعل التهامي هنا متأثرٌ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر﴾[٣]، فالدنيا مليئة بالكدر والهم والغم والإنسان لا يقدر على تغييرها، وأحسن شيئ للإنسان أن يكون ذا صبر واسع.

---

١ البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر،(تحقيق: محمد زهير بن ناصر)، دار طوق النجاة، ط١، ج٩، باب: ما يكره من التمني، ص(٨٤)

٢ التهامي، ديوانه، ص(٤٦١)

٣ –الذهبي، محمد بن عثمان، الكبائر، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص(٢١٩)

المحور الخامس: تأثره بالشعراء

أ- تأثر التهامي بالشعراء الجاهليين:

كان الشعراء الجاهليون يبتدئون عادة بالغزل ووصف الأطلال وبكاء الديار، ثم ينتقلون إلى وصف رحلاتهم في الصحراء ووصف الناقة والطبيعة ثم يخرجون بعد ذلك للغرض الرئيس من القصيدة كالمدح أو الهجاء[١].

وقد نحا هذا المنحى شاعرنا التهامي فنراه وخاصة في قصائد المديح يبتدئ قصائده بالغزل ووصف الديار والأطلال ثم ينتقل إلى وصف رحلته والطبيعة التي تصادفه وقد يصف ناقته ثم يدخل في الموضوع الرئيس للقصيدة وغالبا ما يكون المديح.

والآن لنقارن التهامي بشاعر جاهلي وليكن زهير صاحب الحوليات في معلقته حيث يستهلها بقوله:

أمِن أمِ أوفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ بحومانةِ الدَرَاجِ فالمتثَلَمِ
ديار لها بالرقمتين كأنها مراجعُ وشْمٍ في نواشرِ مِعْصم[٢]
بها العين والآرامُ يمشِين خِلفةً وأطلاؤُها ينهضْن من كل مَجْثَمِ
وقفتُ بها بعد عشرين حِجة فلأْيًا عرفت الدار بعد توهم
أثافيَ سعفًا في مَعَرَسِ مِرْجَلٍ ونُؤْيًا كجذْمِ الحوض لم يتثَلَّمِ[٣]

فهنا نرى الشاعر زهير في أبيات قليلة من قصيدته يتغزل بذكر اسم محبوبته وزوجته أم أوفى ويذكر الديار بأسمائها الدراج والمتثلم ثم يصف الأطلال والأثافي والنؤى ثم يعرج[٤] على الطبيعة فيصف البقر الوحشي والظباء البيض وأولاد الظباء وبعد ذلك يدخل زهير إلى وصف الحرب في قصيدته وأهوالها ووصف العرب وأحوالهم فنراه يقول:

---

١ انظر:ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط١٢، ص(١٦)

٢ ــ زهير، ابن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه: الطباع عمر فالروق، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط٤، ص(٦٤).

٣ -زهير، ابن أبي سلمى، ديوانه، المصدر سابق، ، ص(٦٤).

٤- ضيف، شوقي الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص(٢٧-٢٩)

وما الحربُ إلا ما قدْ عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ وما هوعنْها بالحديث المُرَجَمِ
متى تبعثوها تبعثوهَا ذميمةً وتضْرَ إذا ضرَيتُمُوْهَا فتضْرَمِ
فتعرُكَكُم عَرْكَ الرَحَى بثِفالها وتلقَحُ كِشافًا ثم تُنتجُ فَتُتْئِمُ[١]

فهو يصف الحرب وأهوالها وكيف تبدأ صغيرة ثم يضطرم أوارها فتعرك الناس عرك الأديم وتطحنهم طحن الرحى.

ثم يدخل بعد ذلك إلى الغرض الرئيس من القصيدة وهو مدح هرم بن سنان وصاحبه لسعيهما بالصلح بين عبس وذبيان[٢].

والآن إلى ديوان التهامي ونختار واحدة من قصائده في المدح ونرى مدى تأثره بالشعراء الجاهليين في بناء قصيدته.

ففي قصيدة التهامي المعنونة بـ: –له قلم فيه المنية والمنى – يمدح بها هبة الله بن حيدرة القاضي نرى التهامي بادئا قصيدته يَشْكُو من تباريح الغزل حيث يقول:

ألمَّ وليلي بالكواكب أشْيبُ خيالٌ على بعدِ المدى يَتَأَوَبُ[٣]

ثم يذكر الديار فيقول:

ثوى برهةً في ثايةِ الحيِ وانْبَرَوا فولَوْا به في جانب الظَعنِ يَجْنُبُ[٤]

ثم يذكر الطبيعة واصفا اصفرار الشمس والسحاب والكوكب والسراب وقطيع البقر الوحشي والروض والأقاحي حيث يقول:

ولم أنسها تصْفَرُّ من غربة النَوى كما اصْفَرَّ وجهِ الشمسِ ساعةَ تغربِ[٥]

ويقول:

---

١ – ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي ، مصدر سابق، ص(٧١).

٢– المرجع السابق، ص(٦٨–٦٩)

٣– التهامي، ديوانه، ص(٥٤)

٤ – المصدر السابق، ص(٥٥)

٥ – المصدر السابق، ص(٥٥)

يبينُ ويَخفى في السرابِ كأنَّهُ سَنَا درَّةٍ في البحرِ تطفو وترسُبُ[١]

ثم يصف ناقته فيقول:

يُسَاعدني في الرَوْعِ أبيَضُ صارِمٌ وفي ثُغْرَةِ المومَاةِ وَجْنَاءُ غلَّبِ
أظلُّ بأجواز الفلاة كأنني عليها عُقاب وهي تحتي مَرْقَبِ
وتشْكُلُ أغفالَ الطريق بِحُمْرةٍ من الدم في أخفافها حين تُثْقَبِ[٢]

فالشاعر رفيقه في السفر سيف صارم وفي الصحراء القاحلة ناقة صلبة شديدة غليظة الرقبة ويقول: وأنا أظل مرتفعا عن الصحراء ورمالها الحارة وكأنني طائر العقاب والناقة تحتي مرصد، وأسير في طريق لا علامة فارقة فيها إلا دماء تنزل من أخفاف ناقتي.

ثم يدخل الشاعر في الغرض الرئيس من القصيدة وهو المديح فيقول:

مُحَبَبَةٌ نحوي تهامةُ مثلما إلى هبةِ اللهِ العلاءَ مُحَبَّبُ[٣]

وهكذا من هذا البيت وهو الحادي والعشرين في القصيدة وحتى نهاية القصيدة بقوله:

ولو كان لي في كل منْبِت شعرة لسانٌ فصيحٌ في مديحِك يُعرِبِ[٤]

يبقى الشاعر مستمراً في مدح الممدوح واصفاً اياه بالجود والكرم والسماحة والشجاعة والإقدام إلى غير ذلك من صفات الممدوح متصلاً على نسق واحد وكأنَّ شاعرا جاهلياً نسج هذه القصيدة من ناحية بناء القصيدة وأغراضها.

ب-تأثر التهامي بالشعراء الأمويين:

يقول التهامي في المديح:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٥٦)

٢ – المصدر السابق، ص(٥٧)

٣- المصدر، السابق، ص(٥٨)

٤ – المصدر سابق، ص(٦١)

ما قال لا مُذ كان إلا قولُهُ عند الشهادةِ لا إله سواه[١]

فيبدو هنا أن التهامي متأثر بقول الشاعر الأموي الفرزدق في مدحه لزين العابدين:

ما قال لا قَطُّ إلا في تشهدِهِ لولا التَّشَهدُ كانت لاؤُه نعم[٢]

ويقول التهامي من قصيدة معنونة بـ: (هل يغشى بأنواره البدر) يمدح بشراً:

فداؤُكَ مقبوضُ اليدينِ عن النَدَى إذا جادَ كان الديكُ بيضتُه وِتْرُ[٣]

شابه قول بشار بن بُرد:

قد زرتِني زَوْرةً في الدهرِ واحدةً ثنِّي ولا تَجْعَلِي بيضةَ الديكِ[٤]

ج- تأثر التهامي بالشعراء العباسيين:

حاكى التهامي ابن الرومي في شعر الطبيعة، فابن الرومي يصف الربيع فيقول:

ورياضٍ تخايَلُ الأرض فيها خُيَلاء الفتاة في الأبراد
ذات وشْيٍ تناسجته سواءٌ لبِقاتٌ بحوكهِ وغوادي
فهي تُثني على السماء ثناء طيب النَشْر شائعٌ في البلاد
من نسيم كأنَّ مسراهُ في لأرواح مسرى الأرواح في الأجساد[٥]

فالأرض فتاة جميلة في أثواب قشيبة زاهية والسماء ماطرة والأرض عاطرة والجو متألق.

والتهامي يقول:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤١٤)

٢ – الفرزدق غالب بن صعصعة، ، ديوان الفرزدق، شرحه: عمر فاروق)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٩٩٧م،(٦٦١).

٣ – التهامي، ديوانه، ص(١٩٨)

٤ – بشار، بن برد، ديوان بشار بن برد، شرحه: ابن عاشور محمد الطاهر، الشركة التونسية للتوزيع، ج٤، ص(١٤٤)

٥– ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، مصدر سابق، ص(٣٢١)

وَسَفَرْنَ في جُنْح الدُّجى فتشابهتْ ... في الليل أنجُمُ أرضهِ وسمائِهِ
وجَلَّى جبينًا واضحًا كالبدر ... في تدويرهِ وبعادِه وضيائِهِ
حتى إذا حط الصباح لثامَه ... ومضى الظلامُ يَجُرُّ فَضْلَ ردائِهِ
والزهرُ كالحَدَقِ النواعسِ خامَرَت ... نومًا وما بلغَتْ إلى استقصائِهِ[1]
أَهْدَى لنا في النوم نجدًا كله ... ببدورهِ وغصونه وظبائِه

فالشاعر يقول: تذكرنا في نومها حسان نجد البيضاوات، ولقد سافرنا ليلاً فلم نعد نفرق بين نجوم الأرض من الجميلات ونجوم السماء، وأما وجه الممدوح فهو كالبدر في الإضاءة، والزهور شابهت العيون التي خامرها النعاس فأصبحت جميلة في دلال.

وقد شابه التهامي كذلك ابن المعتز في الصور والتشبيهات والأخيلة:

فابن المعتز يقول:

وياسمينٍ في ذُرى الأغصان ... مُنْتَظَمٍ كَقِطَعِ العِقْيَان
والسِّرْوُ مثل قُضُب الزَبَرْجَدِ قد ... استمدَّ العَيْشَ من تَرِبٍ ندي
على رياضٍ وثَرَىً ثَرِيٍّ ... وجدول كالمِبْرِدِ الجلِي
وجلُّنارٍ كاحمرار الخدِّ أو ... مثلَ أعرافِ ديوكِ الهند[2]

فالياسمين كقطع العقيان، والسر ومثل قضيب الزبرجد، والجدول كالمبرد، والجلنار كالحمرة في الخدود أو هي مثل أعراف ديوك الهند، فالتشبيهات تترى والخيال واسع والصور جميلة.

والتهامي يقول في المديح:

وكتِيبَةٍ قَرَأَتْ كتابًا منك فانْ ... فضّتْ كما فُضّتْ خِتامُ سمائهِ
لمَّا تأمّلَ ما حواه كَمِيُّها ... رقصتْ بناتُ الرُّعبِ في أحشائِهِ

١- التهامي، ديوانه، ص(١٦)

٢- ضيف، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص(٣٤٤)

وكأن أسْطُرَهُ خميسُ عرمْرَمٍ وهلالَ رايتِهِ استدارةُ رائِهِ
كذَبَ المبَخِّلُ للزَّمان وأنتَ من جَدْوَى أناملِهِ ومنْ إهدائِهِ[١]

فهذه الأبيات ملأى بالصور والتشبيهات يردفها خيال واسع، فالكتيبة من الجيش تنهزم كما تفض الورقة وتفتح، والكمي الشجاع حينما يقرأ الرسالة يرقص قلبه فزعا، وأسطر الرسالة كالجيش اللجب العرمرم، وهلال راية الجيش كالراء في الإستدارة، والزمان رجل معطاء تسيح العطايا من بين أنامله ويديه.

وهكذا نرى الشاعر التهامي متأثرا بابن المعتز وغيره من الشعراء الذين أكثروا من التشبيهات والصور والأخيلة فنرى شعره زاخراً بهذه الصور الجميلة والتشبيهات الأنيقة يلفها خيال واسع بارع.

وكذلك نرى التهامي يشابه ويحاكي ويتأثر بالمتنبي فكلاهما رحالة جاب الأقطار، وقطع الفيافي والديار، وكلاهما تطلع للمجد والسؤدد والمال والمنصب، وكلاهما مدح نفسه ورآها تستحق أكثر مما هي عليه.

فالمتنبي يقول:

وفؤادي من الملوكِ وإنْ كا ن لساني من الشُّعراء[٢]

والتهامي يقول:

أقلُّ قدرك أن تُدعى الأميرُ كما أقلُّ قدْرِي أن أُدعى من الشُّعراء[٣]

فهذان البيتان يحملان نفس المعنى ويعبران عن نفسية ملئت إعجابا بالقدرات والطاقات ورغبة في الوصول إلى أعلى الغايات.

ويقول المتنبي مفتخراً بشعره مقللاً من شأن الشعراء الآخرين في بلاط سيف الدولة:

١- التهامي، ديوانه، ص(٢٤)

٢- الغضفريّ، منتصر عبدالقادر، كتاب الرحلة في شعر المتنبي، مصدر سابق، ص(٦٤)

٣- التهامي، ديوانه، ص(٢٠٥)

وما الدهر إلا من رُواةُ قلائدي إذا قلت شعرًا أصبح الشعر مُنْشدًا[١]

والتهامي يقول في الطموح والخلود:

لعمري لقد طَوَّفْتُ في طلب العُلا وحَالَفَنِي برٌ وحَالَفَنِي بحرٌ[٢]

فالدهر عند المتنبي من رواة شعره، والتهامي قصارى جهده أن يخلد على مر الدهور وكر العصور فساح في الأرض في طلب المجد.

وهكذا نرى شبها كبيراً بين المتنبي والتهامي ينتهي هذا التشابه حتى في طريقة موتهما فالمتنبي يموت قتلاً على يد قاطع طريق، والتهامي كذلك يموت مقتولاً في دار البنود بمصر على يد الفاطميين.

١- الغضنفريّ، مصدر سابق، ص(٦٥)

٢- التهامي، مصدر سابق، ص(٤٢٥)

المحور السادس وفاته:

وفي خبر مقتله نجد في كتاب المختصر وهويتحدث عن سنة (٤١٦ هـ) ووصل التهامي المذكور إلى القاهرة، متخفيا، ومعه كتب من حسان بن مفرج وابن دغفل البدوي، إلى بني قرة، فعلم بأمره وحبس في خزانة البنود، ثم قتل بها محبوسا في التاريخ المذكور ١.

وفي كتاب العبر نجد الشهر الذي قتل به التهامي حيث يقول « فظفروا به وقتلوه سرًا في جمادي الاولى» ٢.

وفي كتاب آخر نجد السنة التي قتل بها التهامي «وبلغنا أن التهامي وصل الى مصر خفية ومعه كتب حسان بن مفرج إلى بني قرة فظفروا به، فقال: أنا من بني تميم، ثم عرفوا أنه التهامي الشاعر، فسجنوه في مصر في خزانة البنود ثم قتلوه سرًا بعد ايام وذلك في جمادي الأولى سنة ٤١٦ هـ»٣.

وفي كتاب النجوم الزاهرة نجد اليوم الذي قتل فيه التهامي حيث يتحدث المؤلف عن التهامي ومقتله فيقول: « ثم قتل سرا في سجنه في تاسع جمادي الأولى »٤.

وهكذا تجتمع لنا الصورة الكاملة لمقتله حيث قتل في سجنه في القاهرة في التاسع من جمادي الأولى من سنة (٤١٦ هـ).

١–انظر ابو الفداء، عماد الدين بن اسماعيل بن علي، كتاب المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، ج ٢، ص (١٥٦).

٢ – الذهبي،، شمس الدين، تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تحقيق عمر عبد السلم التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢، ١٩٩٢ م، ج ٢٨، ص(٤٠٥).

٣ –ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،(ت: خليل شحادة) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢،ج١، ص ٤٠٥.

٤ – بردي، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب مصر، ج٤، ص(٢٦٣).

المحور السابع: ديوان التهامي المطبوع وأغراض التهامي الشعرية:

طبع الديوان أول مرة في مدينة الإسكندرية بمصر سنة ١٨٩٣م من قبل مطبعة الأهرام، ثم طبع المرة الثانية على يد الشيخ علي آل ثاني من قطر، ثم قام المكتب الإسلامي بدمشق بطبعة سنة ١٩٦٤[١].

وتم تحقيق الديوان من أكثر من باحث منهم الباحث السوداني الفريح والذي حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الخرطوم بتحقيقه للديوان سنة ١٩٧٧م.

كذلك قامت الباحثة نجوى صبحي كمال الدين عرفات بتحقيق الديوان لتحصل بدورها على شهادة الدكتوراه على هذا الإنجاز.

وحقق ديوان التهامي من قبل الدكتور علي نجيب عطوي حيث قامت دار ومكتبة الهلال في بيروت بطبع ونشر الديوان سنة ١٩٨٦م، وقد كانت هذه الطبعة المرجع الرئيس لهذا البحث لذلك سوف نقوم بالتعريف بها.

هذه الطبعة تقع في (٥٠٦) صفحات، وقد قسم المحقق الديوان إلى مقدمة ثم تعريف بالشاعر، ثم ذكر قصائد التهامي موزعا اياها على الأغراض الشعرية التي نظم بها التهامي قصائده وهي على التوالي مع الشواهد:

المديح: وتضمن خمسا وخمسين قصيدة من الصفحة (١٥-٤٢٠)، وقد استغرق المديح معظم ديوان التهامي، فنراه مدح الأمراء والولاة والوزراء والأعيان والقواد، مدحهم بالكرم والسخاء والجود والعطاء، والشجاعة والإقدام والجرأة وثبات الجنان والفروسية والغيرة والحمية ومدح أصولهم وأنسابهم وأحسابهم، وذكر تميزهم وسبقهم وتفوقهم وتفردهم، وذكر عدالتهم وعدلهم، وحكمتهم وحسن تقديرهم ودهائهم وجمال تدبيرهم ومن مدحه لأبي الفتح المظفر بن عبدالجبار في قصيدة معنوية بـ: (لا خلق أعظم منه) يقول:

بِمُهذّبٍ لولا صفيحةُ وجْهِهِ ... لَجَرَي على الخَدَّيْنِ ماءُ حيائِهِ
لا خَلقَ أعظمُ منه عندي مِنّةً ... إلا زمانٌ جادَ لي بلقائه[٢]

١- انظر: نجوى عرفات، مرجع سابق ص(١٢)

٢ التهامي، ديوانه، مصدر سابق، ص(١٤)

يُنْبيك رونقُ وجههِ عن بِشْرِهِ والسَّيْفُ يُعرفُ عِتْقُهٌ من مائِهِ
سمح الخليقةِ والخلائقُ وجْهُهُ بِشرٌ يُبَشّر وَفْدُهُ بعطائِهِ
زانَ الرئاسةَ وهي زيْنٌ للوَرَى فازدادَ روْنَقُ وجهِهَا بعلائِهِ[1]

فهنا يرسم التهامي لنا صورة رائعةً مشرقةً عن ممدوحه فهو مهذب عريض الوجه حييٌّ، جميل، سموح بشير، جمل الرئاسة والإمارة بعظيم مناقبه وحسن سجاياه وجميل طباعه.

العتاب: تضمن ثلاث قصائد من الصفحة (٤٢١-٤٣٢).

حيث يقول في قصيدة معنوية بـ: (لو حرم الماء) معاتباً:

وكم من أخٍ لو حَرَمَ من الماء لم أكنْ له شارباً ولو أني متُّ شارباً
فظنَّ بهذا وُدَّه لي تطوعًا وَوُدِّي له فرضاً علي وواجباً
فأعتقني ذا الظنُّ من سوء مِلْكِه وكنت له عبدًا فأصبحت صاحباً
ومن ظنَّ أنْ لا بد منه أريتُهُ بِصَبْري عنه ذلك الظنُّ كاذباً
أُبيحُ لِخلي من فؤادي جانبًا وأترك للهجران إنْ كان جانباً
على أنني ألقاه بالبِشر حاضرًا وأحفظه بالغيبِ إنْ كان غائباً
وتلك سجايا لي أعمُّ بها الورى وأُشرِكُ فيهنَّ العِدَى والأقاربا[2]

فالتهامي هنا في هذه القصيدة القصيرة المكونة من سبعة أبيات شعرية يعودنا ويذكرنا بأنه رسام ماهر مع كونه شاعراً مجيداً، فها هو يرسم لنا هذه اللوحة الجميلة عن عزته وأنفته، فلو أخ له امتلك الماء ومنعه عن الشاعر فلن يشرب من هذا الماء مهاناً ولو أدى ذلك لموته، فكيف يظن هذا الصديق أن وده للشاعر تطوعاً منه وتكرماً عليه بينما ود التهامي له فرضٌ وواجبٌ وحتمٌ لازم، وهذا الظن غير الحسن هو الذي حرر الشاعر من أسر صاحبه وسجنه، فالتهامي يحب

صاحبه ولكن ليس بكل فؤاده فإنَّ جزءاً من قلب الشاعر جاهز أن يهجر هذا الصاحب إن أساء وظلم، ومع ذلك فبشري دائماً لصاحبي مبذول وصاحبي في غيبه محفوظ وهذه السجايا أَعم بها العدو والصديق.

١- التهامي، ديوانه، ص(١٤)

٢- المصدر سابق، ص(٤٢٣-٤٢٤)

الإعتذار: وتضمن قصيدة واحدة من الصفحة (٤٣٣-٤٣٦) ومعنونة بـ: (مولاي مهلاً):

حيث يقول فيها موجها خطابه إلى بدر اليماني يعتذر بمرض ألمَّ به:

جسمي نحيلٌ بالحُبِّ والحَبِّ ذا من ربيبي وذاك من ربِّي

ناران نارٌ بالطِّبِ إنْ ظَهَرَتْ تَخْفى ونارٌ تَخْفى عن الطبِّ

مولاي مهلاً فليس يجمُلُ إنْ عَتَبَتْ بي غير موضِعِ العَتْبِ[١]

فالشاعر جسمه هزيل ضعيف بالحب وبمرض اصابه، فالنار تأكله من كل جانب وهو يطلب العفو والصفح من بدر اليماني على عدم الزيارة، فالعذر موجود واليماني حري أن يعذر الشاعر على تقصيره غير المقصود.

الزهد: وتضمن قصيدة واحدة من الصفحة(٤٣٧-٤٤٠)

حيث يقول في قصيدة معنونة بـ: (السفر البعيد) غير موجهة لأحد وكأن الشاعر يخاطب بها نفسه:

شقِيتُ بما جَمَعْتُ فليتَ شِعْرِي ورائي من يكونُ به سَعيداً

أُعاينُ حسرةً أهلي ومالي إذا ما النَّفسُ جاوزتِ الوَريدا

أُعد الزَّاد من تقوى فإنِّي رأيت مَنِيَّتي السفر البعيدا

تَبَدَلَ صاحبِي في اللَّحد مني وهال على مناكبِيَ الصَّعيدا[٢]

وودَّعني وعزَّ عليه أنِّي أُوَدِعَهُ وداعاً لن أعودا[٣]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٣٥).

٢ ـ المصدر السابق، ص(٤٣٥)

٣– المصدر السابق، ص(٤٣٩).

فلو أبصرتني من بعدِ عشرٍ رأيتَ محاسني قد صِرنَ دوداً
وحيداً مُفْرِداً يا ربِّ عفوًا بعبدك حين تتركُهُ وحيداً[١]

فالتهامي هنا حزين على عمر قضاه في جمع المال والدنيا وهو لا محالة تارك له يوماً، والحسرة تأكل قلبه على أهله وولده وماله، ويطلب من نفسه اعداد الزاد من التقوى وعمل صالح، الميت إذا وضع في قبره أكرمه الناس بإهالة التراب عليه حتى الاقارب والأصحاب الذين يعز عليهم أن يتركوه، ويخاطب نفسه فيقول لو أبصرتني بعد عشر من الليالي لرأيت عجبا، جسدٌ ممزق ودودٌ يترزق، وحيدا فريداً في ظلمة القبر وضيقه، ثم يطلب من الله تعالى الرحمة والمغفرة.

الفخر: وتضمن ثلاث قصائد من الصفحة (٤٤١-٤٥٠)

حيث يقول في قصيدة معنونة بـ: (المرء تنبو به الأحوال):

فذَرني والطُغاتِ فبينَ رمحي وبين قلوب أكثرِهِم سِرارُ
إذا ما عرَّس الخَطِّيُّ فيهم فإن رؤوسهم فيها نِثَارُ
كأنَّ رؤوسهم حَصَبَاتُ حَذْفٍ تساقطُ والفضاءُ لها جِمارُ
إذا بلغ الفتى عشرين عاما وأعجزه الفخار فلا اعتذارُ
إذا ما أوَّل الخَطِّيِّ أخْطَى فما يُرْجَى بآخرِهِ انتصارُ[٢]

فالشاعر هنا يفخر بنفسه وقوته ويطلب ممن حوله أن يتركوه وأعدائه من الطغات المتجبرين لتكون بينهما معركةٌ وجولةٌ، وسلاحه فيها الرمح الذي سيوضع في قلوب أعدائه، وأما سيفه فإذا ما انتشقه وضرب به فإن رؤوس العدا سوف تتناثر لتصبح كتلك الحصى التي يقذفها الحُجاج يوم رمي الجمار.

فهو من قوم أفذاذٍ سابقين يحصلون على المجد والفخار في أول شبابهم ولا يعذرون من

يتأخر عن إحراز الفخار والسؤدد، فهم كالرماح إذا لم يصب أول الرمح فما النفع المرجو من نهايته.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٤٠)

٢ – المصدر السابق، ص(٤٤٥)

الغزل: موجود عند التهامي في معظم قصائده، ولكنه أفرد له خمساً من القصائد من ص(٤٥١-٤٥٨).

فقد تغزل التهامي بالمرأة البدوية والحضرية وبكى على أطلال المحبوبة، ووصف المرأة بالمها والجآذر وهي البقر الوحشي والظباء، وبالقمر والبدر والورود والنرجس، ووصف طول المرأة وقدها المياس وعيونها وأشفار العيون وذكر صد النساء ووصلهن وبكى وشكا وتألم وتوجع لفراق الحبيب وذكر زيارة طيف المحبوبة له في نومه وأحلام يقظته، وكل ذلك كان يلبس لباس العفة والتقوى واحترام المرأة وتقديرها، فهو لم يجعل المرأة مهانة مبتذلة في شعره بل أعلى من مقامها وقدرها.

فهو يقول في قصيدة معنونة بـ: (أكرم به تابعاً ومتبعاً):

دلَّ فأبدى الصدودَ والجزعا تِيْهاً وقدْ كان حَقَّقَ الطَمَعَا
ولم يك ذاكَ منه عنْ مَلَلٍ بل كان يهوَى أذيَّتي وَلَعَاً
حتى إذا ما يئستُ منه دنا الوصلُ بعدما قَطَعَا
ظَبيٌّ تجَرَّعْتُ من تمنُّعه قِدمَا من الصَّابِ في الهوى جُرُعَا
يتبعنِي في الهوى وأتْبَعُهُ أكْرِمْ به تابعاً ومُتَّبَعَاً[1]

فالشاعر هنا يعلن للملأ أن الحبيب تدلل عليه فأظهر تيْها على الشاعر، وأراد بكل هذا تعذيب الشاعر حيث كان مولعاً ومغرماً بذلك، حتى إذا بلغ اليأس من الشاعر كل مبلغ تقرب منه ثانيةً، وهو يصف محبوبه بالظبي المتمنع اللذي جرَّع الشاعر من الصاب-الشجر المر- جرعات

وجرعات فهو يتبعني في الهوى وأنا اتبعه أكرم به من حبيب في حالي الصد والوصال.

الرثاء: وتضمن أربع قصائد من صفحة(٤٥٩-٤٩١).

وهو لم يرث إلا ولده أبا الفضل وقد مات طفلاً صغيراً، وقد لجأ التهامي إلى الخيال حين رثى ولده فأمعن فيه، فقد تصور ولده شاباً في ريعان الشباب فارساً مقداماً وبطلاً مغواراً كثير العدة

---

١ - التهامي، مصدر سابق، ص(٤٥٤)

والعتاد، شاكي السلاح، مفتول العضل قوي الجسد، غير هيَّاب ولا جبان، يطاعن الأقران ويطاعنوه، ويضاربهم ويضاربوه، فيقتلهم ويجرحوه ويخرج دائمًا من معاركه الخيالية منتصراً على أعدائه، معفراً من غبار المعركة الهائلة مضرجًا بدماء أعدائه، ولكن بوجه ضاحك طلق، فلذته في النزال والطعان وشهوته في المواجهة والإقدام.

فهو يقول من قصيدة معنونة بـ: (يا كوكباً ما كان أقصر عمره):

إني وَتِرْتُ بصارمٍ ذي رونقٍ أعْدَدْتُه لطِلابة الأوتار[١]
والليثُ إن بارزْتَهُ لم يعتمدْ إلا على الأنيابِ والأظفارِ
وإذا هو اعتقل القناةَ حسِبْتَهُ اصلاً تأبَّطَهُ هِزَبْرٌ ضارِ[٢]
ويجري حين يجرُّ صَعْدَةَ رُمْحُهُ في الجحفل المُتَضَايقِ الجَرَّارِ
ما بين تَرِبٍ بالدماء ملبَّدٍ زَلِقٍ ونْقعٍ بالطِّرادِ مُثَارِ
تَنْدى أسِرَّةُ وجهه ويمينِهِ في حالة الإعسَار والإيْسَارِ[٣]

فالشاعر رزء بفقد ولده الذي أعده لخوض المعارك والأخذ بالثأر، وهذا الإبن كالأسد في الشجاعة والقوة، وإذا هو حمل الرمح كانت في يده كالأفعى التي لا ينفع مع لسعتها طب ولا علاج، وهو لا يكون إلا في الجيش الجحفل الجرار متقدما الصفوف غير وجل ولا هيَّاب، ثم يترك أعدائه ما بين معفر بالتراب ومضرج بالدماء، وهو مع قوته وشجاعته سمح كريم معطاء يجود بطلاقة وجهه وماله في حال الإعسار والأيسار.

فهذا جزء من رثاء التهامي لولده فإذا علمنا أن ولده قد حصرته يد المنون صغيراً علمنا مدى الشاعرية والخيال اللذين يمتلكهما الشاعر، وكذلك نرى بوضوح الموسيقى الداخلية الحزينة المكثفة في القصيدة عن طريق استخدام الألفاظ ذات الجرس القوي والأحرف المفخمة، ثم النزول الى ألفاظ

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٦٣)

٢– المصدر السابق، ص(٤٦٥)

٣ – المصدر السابق، ص(٤٦٦)

ذات جرس أخف والحروف المرققة وهكذا يستمر الشاعر على هذه الشاكلة موقعا أجمل وأكثر الألحان حزنا على فقد ولده، حيث يجعلنا في النهايه نشعر بما يشعر ونحس بما يحس وهذه هي الغاية القصوى من الشاعر.

الوصف:

وهناك غرض شعري لم يفرد له التهامي قصيدة بعينها ولكنه أكثر منه في قصائده وهو الوصف ولم يذكره الدكتور عطوي في فهرس الديوان لكننا سنقوم بالحديث عنه لشدة ظهوره في شعره ألا وهو الوصف.

فقد أبدع التهامي في الوصف وأكثر منه فوصف الصحراء والبيداء والقفار ووصف ناقته ووصف الليل ونجومه وكواكبه وطوله وهمومه، ووصف الطبيعة بأشجارها ونباتاتها ووصف الورود والزهور، ووصف المعارك وهو يمدح ممدوحيه أو وهو يرثي ولده، وحين ابتلي بالسجن وصف السجن وكروبه ومرضه.

فالتهامي يقول في قصيدة معنونة بـ: (له قلم فيه المنية والمنى):

ولم أنْسَها تصْفَرُّ منْ غربةِ النَّوى كما ... اصفرَّ وجه الشمس ساعةَ تغربِ
فقد شفَّ من تحتِ البراقعِ وجهُهَا كما ... شفَّ من تحت الجُهَامةِ كَوكبِ[1]
يبِيْن ويخْفَى في السَّراب كأنه ... سَنَى دُرَّةٍ في البحر تطفو وترْسُبِ
أقلَّت وقد حَفَّ الحسِان بها ... كما أحاط بِسَفْعاءِ المَلاطِمِ رَيْرَبُ
فلما أتو روضاً يرِفُّ تبسمتْ ... أقاحيْهِ فيه استبشروا ثم طَنَّبوا
وضاحَكْنَّ نُوَّار الأقاحي فقال ... لي خليلي أيُّ الأقحوانَيْن أعجبُ
فقلت له لا فرق عندي وإنما ... ثُغور الغوانيْ في المَذاقةِ أعْجَبُ[2]

وهكذا يمضي التهامي في الوصف فالشمس تصفر من خوف الغروب والكوكب يشف

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٥٥)

٢ – المصدر السابق، ص(٥٦)

ويرف من تحت السحابة الرقيقة لا غيم فيها، ووجه الحبيبة كضوء الدرة الراسبة في البحر، وعندما سافرت المحبوبة أحاط بها المحبون من الصديقات كما يحيط بقطيع البقر الوحشي السواد المشرب بحمرة.

والروض يبسم ويهتز من الري والنضرة والأقاحي تبتسم وتضحك، والحسان بادلن الأقاحي الإبتسام، فصعب على الشاعر التفريق بين ثغور الحسان ومنظر الورود والأقحوان.

ثم قام عطوي بختم الديوان بدراسة تحليلية لشعر التهامي نوجزها بما يلي:

معنى الشعر: المعاني والألفاظ والصور متكررة عند التهامي، وهنالك من شعر التهامي في المدح وغيره ما يرقى لفحول الشعراء، كذلك فالتهامي جاء بمعانٍ مستحدثة أو معانٍ قديمة تطرق لها الشعراء لكنه استطاع أن يضعها في قوالب جديدة.

مبنى الشعر: افتتن التهامي بالزخارف اللفظية والمعاني البديعية، أما ألفاظ التهامي فقوية ومعانيه معبرة وبحوره تامة وقوافيه رنانة والموسيقى الداخلية موجودة في شعره ولكنها ضعيفة وتقوى لأقصى الحدود في مراثيه لولده، حيث حفلت مراثيه بموسيقى داخلية حزينة ومركزة.

وفي نهاية الديوان المحقق نجد الفهرس لمحتوى الديوان من صفحة(٥٠٣-٥٠٦).

المبحث الثاني: عصر الشاعر

المحور الأول: الحياة الساسية في العصر العباسي:

يعد عام ١٣٢هـ عاماً حاسماً في تاريخ الإسلام، إذ انتقلت فيه الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين، إثر معارك طاحنة وعبر بحورٍ من الدماء[١]، «وقد حكم العباسيون بدورهم من سنة ١٣٢(هـ الى ٦٥٦هـ)»[٢] ليمتدَّ حكمهم ٥٢٤ سنةً، ولم تكن هذه المدة الطويلة من الخلافة العباسية سائرة على طريقة واحدة وإنما اتخذت أنماطاً متعددة وضعها المؤرخون في أشكال ثلاثة هي:

العصر العباسي الأول ويبدأ من سنة «(١٣٢هـ-٢٣٢هـ)، والعصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ-٥٩٠هـ) والعصر الثالث (٥٩٠هـ-٦٥٦هـ)»[٣].

وبما أن التهامي ولد ونشأ وتوفي في العصر العباسي الثاني فسوف نتحدث بإيجاز عن هذا العصر، حيث انتقلت الخلافة ليد الأتراك وذلك بعد مقتل المتوكل على أيديهم، وفي هذه الفترة الحرجة ضعف شأن الخلافة العباسية، وضعف شأن العنصر العربي حيث تحول للفرس مرة وللأتراك مرة أخرى، وفسدت شؤون الدولة، وعمت الفوضى السياسية، فظهر البويهيون، وظهر كثير من الدول كالطولونية والإخشيبية والفاطمية بمصر، والظاهرية بخراسان، والحمدانية بحلب، وغيرهم الكثير[٤].

وسوف نرى بهذا المبحث تأثير الحياة السياسية على شعر التهامي، وهو الشاعر الذي انغمس بالعمل السياسي حتى أدى به الأمر لمقتله بمصر على يد الفاطميين كما مرَّ معنا سابقا عند الحديث عن وفاة الشاعر.

---

١ – انظر:الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر، عمان ، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ص(٦٩-٨٨).

٢ – الجوابرة، فاطمة محمود، موسوعة الخلفاء، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط١، ج١، ص(٢٠٣).

٣- المرجع السابق، ص(٢٠٣).

٤ – انظر:خفاجي، محمد، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفا الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص(١٣-١٩).

أول بيت في ديوان الشاعر يصادفنا ونلمح فيه إشارة ولو خفيفة على طموح الشاعر السياسي هو قوله من قصيدة معنونة ب(حوى جوداً ورأياً) يمدح بها أبا العلاء المطهر ابن عطاء كاتب ابن

حميد، حيث يقول:

وقد ظننت بك الجميلَ فكنْ كما أمَّلْتُ تغنم مِدْحةً وثناءً[١]

فلقد تركنا الشاعر هنا في حيرة من أمرنا، فما هو هذا الجميل الذي ينتظر الشاعر تحقيقه من الممدوح–وهو الذي يطلب المال والعطايا بصراحة– أهو وزارة أو إمارة أو واسطة عند ابن حميد بمنصب رفيع وجاه عريض أم هو المال والمتاع، وأغلب الظن أن الجميل الذي يقصده الشاعر هو منصب سياسي أو وظيفة كبيرة.

ثم يصبح الشاعر أكثر إفصاحا عما يعتلج بصدره من طلب المجد والجاه فيقول من قصيدة – فتى يقع المدح من دونه– يمدح بها أبا يحيى محمد ابن حيدر بطرابلس:

بقلبي من كل أُكْرُومةٍ شجونٌ ومنْ كل مَجْدٍ شُعَبِ[٢]
ولا بد للمجد من غربة تَبَاَعُد في الأرض أو تَقْتَرِبِ
أحاول أبْعَدَ غاياته بكل بعيدِ الرضى والغضب[٣]

فالشاعر يقول: الوصول للمجد لابد فيه من التعب والمشقة أو الغربة وسفر وبعد عن الأهل والأرض، ويصرح الشاعر بأنه يحاول بهذا السفر الوصول إلى أبعد الغايات وأعلى المراتب رضي من رضي وغضب من غضب.ويقول من القصيدة نفسها بشكل أكثر صراحة ووضوح:

١– التهامي، ديوانه، ص(٢٧).

٢ – المصدر السابق، ص(٣١)

٣ – المصدر السابق، ص(٣٢)

ألا هل لنيل المنى غايةً فإنا إلى غير قصدٍ نَخِبِ

عسى الله يُظْفِرُنا بالتي يحاول ذو أَرَبٍ أو حَسَبِ[١]

فإذا لم يكن من سبب لنيل الأماني وتحقيق الطموح إلا المجد فإننا سنسير اليه سراعاً، لعل الله تعالى يرزقنا ما نصبو إليه من منصب أو جاه.

وفي نهاية القصيدة يعلنها التهامي بكل صراحة بأنه طالب للعلو والمجد والسلطة والجاه حيث يقول القصيدة نفسها

أتيتك ممتدحاً للعلاءِ ولم آتِ ممتدحًا للنَّشَبِ[٢]

فالشاعر يخبر ممدوحه بكل وضوح أنه جاء مادحا طلبا لمنصب جليل وليس مطلبه من هذا المدح المال والنشب.

وفي قصيدة (يعتصب المجد على نفسه) يمدح بها الوزير المغربي الهارب من الحاكم بأمر الله الفاطمي يقول:

يا ابن علي أعدْنِي بالغنى كمثلِ ما أعْدَيَتِني بالسماح

طار إلى العلياء قومٌ وما قَصَّرْتُ لكن كيفَ لي بالجناح[٣]

دون العُلا مَلْحمةٌ فخمةٌ سلاحها المالُ وما لي سلاح[٤]

فالشاعر هنا يطلب المال ولكن ليس من أجل المال بل للوصول الى العلياء والإمارة ويقول أنا ما قصرت بالأخذ بالأسباب ولكن ليس لي جناح أطير به للوصول إلى المقصود، ثم يؤكد

١- التهامي، ديوانه، ص(٣٣)

٢- المصدر السابق، ص(٤٠)

٣ – المصدر السابق، ص(٩٥)

٤ – المصدر السابق، ص(٩٦)

رغبته بالسياسة والملك فيقول: دون المعالي معركة هائلة قوامها المال وليس لدي المال، فجد علي أيها الوزير بالمال الغزير فأنت لذلك أهل[١].

وأما في قصيدة–المرء تنبو به الأحوال– يخاطب الشاعر بها نفسه ويشير إلى توقه للملك والرياسة فيقول بما لا يدع مجالا للشك بأنه طالب ملك:

ولو ساد الصبورُ بغير حِلْمٍ إذًا لاقتادَ قائِدَهُ الحمارُ

فذرني والطغاةِ فبيْنَ رمحي وبين قلوبِ أكْثَرِهِمْ سِرَارُ

إذا ما تمَرَّس الخَطِّيُّ فيهم فإن رؤوسهم فيها نِثَارُ

كأن رؤوسهم حَصَبَات حذْفٍ تَسَاقَطُ والفضاء لها جِمَارُ

حلفتُ لأنهضنَّ لهم بِأُسْدٍ لهم بشعارِ دينِ الله زَارُ

إذا عمدوا ظلام الشِّرْكِ يوماً أزالوه كأنهمُ نهارُ

يؤدون النفوس إلى المنايا كأن النفس عَلَقٌ مُسْتَعَارُ

إذا بلغ الفتى عشرينَ عاماً وأعجزه الفَخار فلا إعتذارُ

إذا ما أول الخَطِّيِّ أخْطَى فما يُرْجى بآخره انتصارُ[٢]

فالشاعر هنا يقول بأنه صبور حليم وهاتان الصفتان هما مادة الرياسة وطريق الحصول عليها ويؤكد أن بينه وبين الطغاة جولة حاسمة تتساقط فيها رؤوسهم بعد أن تطعن قلوبهم، وعدة المواجهة متوفرة فالشاعر يصرح بأن عنده رجالاً كالأُسْد هم مشتاقون لإزالة الشرك وبأسهم شديد ونفوسهم يرونها عارية مستردة، وكلهم طامح للمجد والفخار.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٩٦)

٢ – المصدر السابق، ص(٤٤٥)

وهكذا نرى أن نفس الشاعر طامحة للمجد والعلا والسيادة والرياسة في وقت ظهرت فيه الكثير من الدول وتحصل فيه على الإمارة منه وخليق بها ومن هو غير خليق بها، فلم لا يحاول التهامي الأمر فلعله يفلح.

المحور الثاني: الحياة الإجتماعية في العصر العباسي:

قلنا في الحياة السياسية أن عام(١٣٢هـ) تعد نقطة تحول كبرى في مسار الخلافة الإسلامية، إذ قوِّض فيه حكم الأمويين، وجاءت الخلافة إلى العباسيين عبر بحور الدم، وجبال من الجثث والأشلاء، وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية[١]، وتغيَّرت الحياة الإجتماعية لهذا العصر تغيُّرات كبيرة ملحوظة، واختلفت عن العصور السابقة، فقد أدى–على سبيل المثال– توسع الدولة العباسية الكبير إلى امتزاج وانصهار أمم عديدة وشعوب مختلفة وثقافات متعددة متغايرة انصهر كل ذلك في بوتقة الخلافة العباسية الإسلامية، فكان العرب والفرس والروم والسقالبة واليونان وأهل الهند والسند والصين جنبا ألى جنب، يتعايشون معاً يؤثرون ويتأثرون، ويكسبون ويكتسبون في العادات والتقاليد والفكر والمزاج وفي كل شيء، وكان لهذه الشعوب ثقافاتها وحضاراتها الغنية والعميقة الضاربة جذورها في أعماق التاريخ، تفاعلت كل هذه الحضارات مع الحضارة العربية الإسلامية وانصهرت فيها، مما كان له أعمق الأثر في بروز ثقافة غنية ثرية قائمة على التشكل والتنوع والتعدد[٢].

والتهامي لم يكن بمعزل عن الحياة الإجتماعية فقد صور الكثير منها في شعره فهو يقول واصفاً لبعض صور الحياة الإجتماعية البدوية ذاكراً الخباء والستور من قصيدته المعنونة بـ: (لا خلق أعظم منه):

قولا له هل دار في حَوْبَائِهِ أنَّ القلوب تحومُ حول خِبَائِهِ

---

١ – الزبيدي، مصدر سابق، ص(٦٩–٨٨)

٢ ــ انظر: الغضنفري، مصدر سابق، ص(١٣–٢٥)، انظر: صفي الدين الحلي، محمود رزق، دار المعارف، مصر، ط٣، ص(١٥–١٧)

رَئِمٌ إذا رفع الستائر بيننا أعشانيَ اللأْلاءُ دون رُوَائِهِ[١]

ثم يذكر من نفس القصيدة أسماء قطع من الملابس التي كانت تلبس في زمنه فيقول من نفس القصيدة ذاكراً اللثام والرداء:

حتى إذا حَطَّ الصباح لثَامَه ومضى الظلام يجرُ فَضْلَ ردائِهِ[٢]

ثم يذكر من نفس القصيدة اسم أداة من أدوات الشرب التي عرفت في عصره وهي الكأس فيقول:

حيًّا بكأس رُضَابِهِ فَرَدَدْتُها نفسي فداءُ رُضَابه وإبائِه[٣]

ثم يعبر التهامي عن عادة اجتماعية شهيرة عند العرب في زمنه والأزمان التي سبقته وما تزال هذه الصفة الإجتماعية راسخة عند العرب حتى يومنا هذا وإن ضعفت قليلا، ألا وهي صفة النجدة والمروءة فيقول:

لله عزمٌ من وراء تُهامة نادى فَثُرتَ ملبيًّاً لندائِهِ[٤]

ثم يذكر التهامي تغيرًا في الحياة الإجتماعية وفرقًا بين حياة البادية وحياة الحاضرة فيقول من قصيدة معنونة بـ: (فتى يقع المدح من دونه) ذاكراً القباب بدل الأخبية والخيام:

فؤادي الفداءُ لها من قُبَبْ طوافٍ على الآلِ مثلُ الحَبَبْ[٥]

فالتهامي هنا يمدح أبا يحيى محمد ابن حيدر بطرابلس وهي المدينة الكبيرة والمأهولة بالسكان ومساكنها من الطين والحجر وليست من الصوف والشعر.

١- التهامي، ديوانه، ص(١٥)

٢ – المصدر السابق، ص(١٦)

٣ – المصدر السابق، ص(١٧)

٤ – المصدر السابق، ص(١٨)

٥- المصدر السابق، ص(٢٧)

ثم يعود التهامي لينقلنا مرة أخرى إلى البادية مصوراً لنا صورة أخرى من الحياة الإجتماعية لأهل البادية حيث يقول القصيدة نفسها

ومَيْثاءُ خيَّمَ وسْمِيُّها وألقى على كل أُفْقٍ طُنُبْ[1]

فهو يذكر هنا الأرض اللينة وأول المطر الذي يسم الأرض باللون الأخضر من الربيع النابت، ثم يذكر الطنب هو الحبل الشديد يشد به سرادق الخيمة.

ثم يذكر التهامي لنا لونا من ألوان العطور المستخدمة في عصره وهي المسك فيقول من القصيدة نفسها

فمن شامَهُ قال ماءٌ يَرِفُّ ومن شَمَّه قال: مِسْكٌ يُشَبْ

فالتهامي يصف النبات مستخدما لفظة شائعة في الحياة الإجتماعية لعصره وهي نوع من أنواع العطور، فيقول من نظر إلى النبات المروي بالماء قال عنه إنه مطر يتلألأ ويلمع على أطرافه وأوراقه، ولكن من شمّ هذا النبات قال عنه إنه مسك عبِق الرائحة منتشر.

وفي قصيدة معنونة بـ: (عوداً وبدأً) يمدح بها أبا العلاء بن المطهر بن العطاء، يتحدث عن قضية اجتماعية في غاية الأهمية أقرها الدين والعرف بين الناس ألا وهي الاتسام بالحلم والوقار وخصوصا لمن خط الشيب فوْدَيْه وبلغ سن الإكتهال فيقول:

الحِلم أولى بمن شابتْ ذوائِبُهُ والحمد أحرَى بمنْ دامتْ تجارِبُهُ[2]

فأولى بالشيخ الوقار وأجدر بالحمد والشكر لله المنعم المتفضل لمن نال من عطاء الله تعالى أكثر من غيره.

ثم يذكر لنا التهامي في قصيدة معنونة بـ: (كنز الفقير ونجعة المتأدب) يمدح بها الرئيس أبا عبدالله

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٠)

٢ – المصدر السابق، ص(٤١)

بن جعفر بن محمد المغربي يذكر صورة إجتماعية وجدت لعصره حين السفر وهي الحمول أي الهوادج فيقول:

إنَّ الحُمُولةَ غداةَ غُرْبةٍ غَرِبٍ ولَّت بأحسنِ سافرٍ ومُنَقَّبِ[١]

فالهوادج والقوافل سارت وولت مدبرة عنا تحمل أجمل من أسفر وجهه وأجمل من تنقب هنا أيضاً يذكر التهامي عادة اجتماعية عند نساء عصره وهي لباس نقاب الوجه.

ويذكر أنواعا أخرى من اللباس المنتشر لعصره وهو الحلة والطراز المذهّب، فيقول من القصيدة نفسها

هم حُلَّةُ المجدِ القديمِ وجَعْفَرٌ ما بينهم مثلُ الطرازِ المُذَّهَّبِ[٢]

فهو يقول عن آل المغربي أنهم حلة وثوب المجد، ويخص جعفراً منهم بأنه الثوب المنسوج بالذهب.

وننهي حديثنا عن موقع التهامي من الحياة الاجتماعية لعصره بهذه الصورة للمرأة، فيقول من قصيدة (له قلم فيه المنية والمنى):

فقد شفَّ من تحت البراقع وجهها كما شفَّ من تحت الجُهامة كوكب[٣]

فهو صور لنا المرأة اللابسة للبرقع وهو غطاء للوجه فيقول بأن حسنها من تحت البرقع كما يظهر الكوكب المختفي وراء غيمة مثقلة بالماء.

وهكذا نرى التهامي متأثراً في الحياة الاجتماعية لعصره، ناقلاً للكثير من صورها في شعره. مثبتا لهذه الصور على مر العصور وكر الدهور.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٤)

٢ – المصدر السابق، ص(٥٢)

٣ – المصدر السابق، ص(٥٥)

المحور الثالث: الحياة الثقافية في العصر العباسي:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهي اللغة الرسمية للدولة الإسلامية العباسية، وقد استوعبت العربية سائر الثقافات كالفارسية والرومية والصينية والهندية وغيرها من الحضارات والثقافات، وكان على أبناء الأمم الداخلة في الإسلام تعلم العربية وإتقانها ، لأنها ببساطة لغة الدين والثقافة والأدب، وقد تأثرت اللغة العربية من كل الثقافات التي انصهرت فيها، فاتسع بذلك معجمها

الدلالي اتساعا كبيرا وأصبحت العربية قادرة على التعبير عن كل مظاهر المدنية والحضارة والتقدم الحاصل في المجتمع بكل صوره وأشكاله من نظم سياسية وإدارية كثيرة[١].

وقد وضعت في بداية العصر العباسي أصول كثير من العلوم المختلفة كعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وبيان وعروض، وأصول علم الفلك والجغرافية والتاريخ، وكذلك وجدت تفاسير القرآن الكريم، وجمعت الأحاديث النبوية الشريفة في كتب الصحاح، وظهرت المذاهب الفكرية الأربعة الشهيرة[٢]، وتطورت وتفرعت هذه العلوم في العصر العباسي الثاني، حيث ارتقى العقل العربي والإسلامي ارتقاءا كبيرا في هذا العصر، وابتكر العلماء المسلمون الكثير من العلوم الرياضية والميكانيكية(الحيل)، والفيزيائية والكيميائية، وأضافوها إلى السجل العلمي الإسلامي العظيم الذي أفادت منه بعد ذلك كل الأجيال اللاحقة لهم، ووضع على سبيل المثال لا الحصر، أبو نصر الفارابي أصول علم الفلسفة الإسلامية، وكذلك صنع يعقوب بن اسحق الكندي، وأما محمد بن زكريا الرازي وابن سينا فقد أبدعا في علوم الطب، والحسن بن الهيثم أبدع في البصريات

والفيزياء، وابتكر الخوارزمي في الجبر أشياء لم يأت أحد قبله بما جاء به وكانت علومه في هذا المجال قاعدة واسعة لعلم الحاسوب، وجابر بن حيان ابتكر في علم الكيمياء، وغيرهم الكثير الكثير[١].وكان من أبرز مظاهر تقدم ورقي الحركة العلمية والعقلية والثقافية في العصر العباسي انتشار المراكز العلمية والمجالس الفكرية والمكتبات الخاصة بالأمراء والوزراء والقادة،

---

١ – الحلي، مصدر سابق، ص(١١–١٥)

٢ – انظر: ضيف،شوقي، العصر العباسي الثاني، مصدر سابق، ص(١١٥–١٧٩)

١ – انظر:الزبيدي، مصدر سابق، ص(٦٩–٨٣)

والمكتبات العامة الزاخرة بعشرات الآلاف من الكتب النافعة في مختلف العلوم والفنون كدار الحكمة وبيت الحكمة وغيرها[١].ولم تقتصر الحياة العلمية وانتشار المراكز الثقافية على حاضرة الخلافة بغداد، بل توزعت على مساحة العالم الإسلامي كله، فالحجاز ونجد ومصر وبلاد الشام والفسطاط والقيروان وغيرها من المدن والبلدان تحولت إلى مراكز كبيرة لجذب العلماء من كل فن[٢].ولم يأت هذا التطور العلمي والثقافي صدفة أو عف والخاطر بل كان وراءه آلة ضخمة تعمل على إنعاشه وتقويته، ومن العوامل والأسباب الناهضة بهذه النهضة الكبرى: تشجيع الخلفاء والأمراء لحركة الترجمة وإعطائهم الأعطيات الجزيلة على ترجمة الكتب من الفارسية واليونانية والقبطية والعربية وكان من هذه الأسباب أيضا التمازج الحضاري وكثرة المعاهد العلمية، وانتشار صناعة الورق والرحلة في طلب العلم، وبرز حركات فكرية كالمعتزلة والقدرية والمرجئة والجبرية وغيرها من الحركات[٣].ولم يكن شاعرنا التهامي بمعزل عن هذه الحياة الثقافية الزاخرة وهوحافظ القرآن الكريم والشاعر المجيد والخطيب المِصْقَع والكاتب البارع، فقد انعكست هذه الحياة الثرية الغنية على شعره بوضوح من خلاله ذكر الألفظ الدالة على الكتابة أو القراءة أو العلوم، كقوله من قصيدة معنونة ب(له قلم فيه المنية والمنى) يمدح بها هبة الله بن حيدر القاضي ذاكرا لفظة القلم:

له قلمٌ فيه المنيَة والمُنَى ومنه العطايا والرَزايَا تَشَعَّب[٤]

فقلم الممدوح سلاح ذ وحدين، يسعد أو يشقي حسبما يريد الممدوح، ففيه الكرم والجود ونيل العطايا وفيه المصائب والكوارث.

ثم يذكر التهامي كلمة الكتاب من قصيدة بعنوان (لو مس حجرا) يمدح بها أبا الحسين بن عبدالواحد فيقول:

---

١ – انظر:الغضنفري، مصدر سابق، ص(٧–٢٥)

٢ – انظر: نافع عبد الفتاح، الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير، عمان، االأردن، ط١، ٢٠٠٨م، ص(٩–١٠)

٣ – انظر: سليم محمود رزق، مرجع سابق، ص(١١–١٥)

٤ – التهامي، مصدر سابق، ص(٦٠)

يرمي الكتيبةَ بالكتاب إليهم فيرونَ أحرُفَهُ الخَمِيسَ كفاحاً[١]

فالممدوح يرمي الكتيبة بكتابه فيرونه جيشاً خميساً عرمرماً، فالشاعر يأتي بلفظة الكتاب العلمية الثقافية ثم يوظفها توظيفا عسكرياً فائق الروعة والجمال.

وها هوالشاعر يسوق لنا مرّة أخرى لفظة ثقافية ومن نفس القصيدة حيث يقول:

ساستْ أقاليمُ الورى أقلامَهُ فأجَمَ أطرافَ القنا وأراحا[٢]

فالأقلام تسوس وتحكم البلدان والناس مما أراح الرماح التي لم يعد لها داع لاستعمالها.

ثم يعود التهامي مرة أخرى ذاكرا ألفاظا من عمق بيئته الثقافية حيث يأتي بلفظة ترجم، وقد اشتهر عصر التهامي بالترجمة عن الأمم الأخرى علومها وأخبارها فيقول من القصيدة نفسها

كم ناقصٍ ترجَمَ عن فاضلٍ دلَّ على بيتٍ كريمٍ نُبَاح[٣]

ثم يعود ليكرر لفظة الأقلام دالاً دلالة واضحة على انغماسه ببيئة العلم والثقافة لعصره حيث يقول من القصيدة نفسها

قد نال بالأقلام ما قَصُرَتْ أو قَصَّرَتْ عنه طِوالِ الرماح[٤]

وهذا البيت يحمل ذات المعنى لبيت سبق الإستشهاد بحيث الممدوح يقضي مآربه بالأقلام ولا يحتاج للقوة والسلاح والسيوف والرماح، وهذا البيت الشعري وأضرابه من الأبيات لتدل دلالة

قاطعة أن البيئة التي عاش فيها شاعرنا التهامي إنما كانت بيئة علمية حضارية، ثقافية عقلية من الطراز الأول، فكأن أناس هذه الفترة من الزمن شاعت عندهم العلوم ورقت عندهم

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٧٥)

٢ – المصدر السابق ، ص(٧٦)

٣ – المصدر السابق ، ص(٩٣)

٤ – المصدر السابق ، ص(٩٣)

الطباع، وحسنت منهم الأخلاق، لدرجة أن يقض الأمير مآربه ويسوس بلدته ومدينته بالأقلام لا بالرماح.

ثم يعود التهامي ملحا ومكررا لألفاظ العلم والثقافة ومن القصيدة نفسها

مثلُ الأفاعي الرُقْشِ أقلامه فهنَّ دِرياقٌ وسُمٌ ذُبَاح

إنْ لَمَسَ الطِّرْسَ بأطرافها فاض نَوالًا وبيانًا وسَاح[1]

فأقلام الممدوح كالأفعى السامة تقتل ولكن سمها فيه الترياق والحياة والطرس لفظة ثقافية والممدوح إن قام بملامسة الطرس أو الصحيفة التي كتب فيها مدحه فاض كرما وجودا وعطاءا يسيح هذا العطاء في الأودية والبطاح.

ثم يعود التهامي ليذكر لنا في شعره، كلا من السطر والصحيفة وصرير الأقلام فيقول من القصيدة نفسها

كم هوىً تركتُهُ مثلَ سَطْرٍ قد محاه من الصحيفة ماح[2]

فالشاعر يقول كم من حب وغرام تملكني، ومع هذا فقد هجرته ونسيته ومحوته من قلبي ونفسي، كما يمحى السطر عن الصحيفة.

ويقول أيضا من القصيدة نفسها

صافحتُ منه أنملًا نشأتْ بين صريرِ الأقلامِ والأرماح[1]

فالشاعر يقول: لقد صافحت يدا نشأت بين طلب العلم وضرب الرماح والسيوف، أي بيت علم وشجاعة.

١- التهامي، ديوانه، ص(٩٤)

٢ – المصدر السابق ، ص(١٠٠)

١ – المصدر السابق، ص(١٠٠)

وهكذا يكرر التهامي الشاعر ألفاظا كالقلم والأقلام وصرير الأقلام، والسطر، والصحيفة، والطرس والطروس والكتاب ليدل دلالة واضحة على مدى انغماس الشاعر في بيئته، وعلى حسن تعبيره عنها.

الفصل الثاني

آفاق الرؤية في شعر التهامي وفيه محاور:

المحور الأول: – آفاق الرؤية الفكريـــــة

المحور الثاني: – آفاق الرؤية الدينية والأخلاقيـــة

المحور الأول

آفاق الرؤية الفكرية عند التهامي

تعريف الفكر:

«الفكر، بالكسر والفتح هو: إعمال النظر في الشيء. والجمع: أفكار، يقال: فكَر فيه، وأفكَر، وفكَّر، وتفكَّر، وهو فكير كسكيت، وفيكر كصيقل، أي كثير الفكر»[١].

وكل «ما فُكِّر فيه أو خِيض فيه بليل فقد بُيِّتْ، قال تعالى: ﴿ والله يكتب ما يبيِّتون ﴾ أي يدبِّرون ويقدِّرون من السوء ليلاً»[٢].

«والرؤية: هي النظر بالعين والقلب، يقال: رأيته رُؤية ورَأيا وراءَة ورأَية ورِئيانا وارتأيتُه واستْرْأيتَه»[٣].

والأفكار تولد في راس صاحبها خطرات، فإذا لم تترجم لشئ أصبحت هذه الخطرات خيالات وأوهام، وأما إذا قوي عزم الإنسان أصبحت هذه الخطرات أفكاراَ، فإذا قويت أكثر أصبحت هذه الأفكار بالجوارح أعمالاَ، وإذا نزلت على اللسان فإنها قد تصاغ نثراً ساحراً، أو شعرا رائعا عذباً، أو حكمة بليغة أو مثلاً سائراً.فما هي الخطرات التي تمخضت فولَّدت أفكار التهامي ؟! أو ما هو الفكر الذي يحمله التهامي في عقله وهل عبر عنه في شعره لننظر معاً في شعره لعلنا نحظى بالجواب.

والأفق هو اقصى نقطة يستطيع نظر الإنسان الوصول إليها والتقاطها، وهو المدى البعيد

---

١ – الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨ سنة ٢٠٠٥م، ص (٤٥٨)

٢ – أبن منظور محمد إبن مكرَم بن على بن أحمد لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣ سنة ١٤١٤هـ ، ص (١٦).

٣ – الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق ، ص(١٢٨٥).

الساحق الذي يستفز أحاسيس الإنسان ومشاعره، فيدعوه للتفكير العميق والتأمل في الماضي السحيق أو دنيا الحاضر أو الغيب المؤمل، فيحاسب المرء نفسه، وأحيانا يجلد ذاته، أو يعمل جردة حساب كاملة لرحلة الإنسان في هذا العالم الغريب، الجميل أحيانا والمخيف أحياناً أخرى.

والتهامي شاعر من أولئك القلة من الشعراء الذين حملوا على أكتافهم قضية كبيرة كافحوا من أجلها، وطموحاً عظيماً قاتلوا لتحقيقه فدفعوا حياتهم ثمناً له، وهذه القضية وهذا الطموح لم يصدرا عن عقل خاو وفكر ضحل، بلا صدرا عن نفسٍ عظيمة تشرئب لعظائم الأمور، وصدرا عن عقل ذكيٍ يحمل فكرًا راقيًا لا يرضى من الأمور إلا عظيمها ومن النتائج إلا جليلها.

والشعر ديوان العرب، وتعني من أراد أن يتعرف على العرب وأخبارهم، وأحسابهم وأنسابهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وحلوهم ومُرهم، وسلمهم وحربهم، وإيمانهم وشكرهم، وقبائلهم وما يقدسون، وعلى أرضهم سهولها وجبالها، فعلية بقراءة شعر العرب ففيه المبتدأ والخبر وفيه النعت والوصف.

وهذا ينطبق على التعرف على شخص ما أو شاعر بعينه، فإذا أردنا معرفة المزيد عن شاعرنا التهامي فعلينا بقراءة شعره، فلنجعل من شعر التهامي سفيناً نركبه وننزل به إلى لجِّ بحره، ونغوص في هذا البحر مصطادين درر التهامي، ومكتشفين أمره، لعلنا نصبح أكثر قرباً من التهامي ومعرفة به.

وقد ألقت عصا الترحال صاحبنا التهامي عند الأمير الصاحب بن عباد وكان معتزليا[١]،

---

١ – المعتزلة فرقة إسلامية أميرها واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري، ويتلخص مذهب المعتزلة في ما أسموه الأصول الخمسة وهي (التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وسموا بهذا الأسم عندما أعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري على أثر مناقشة بينهما حول مرتكب الكبيرة أمؤمن هـ وأم كافر.

أنظر الإمام أب وزهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي _ القاهرة ١٩٩٦، ص(١٢٤–١٢٥).

وتخبرنا كتب السير والتاريخ أن التهامي قد حمل فكر الإعتزال وآمن به[١].

ولا يستبعد هذا الأمر، فقد يكون التهامي قد آمن بفكرة الإعتزال إما متظاهراً بذلك إرضاءً للأمير الصاحب بن عباد، وإما أنه قد آمن بهذه الفكرة حقاً وصدقاً ومال إليها وأحبها.

وفي شعر التهامي وخصوصا في مراثيه نجد ما يتوافق مع الأصول الخمسة للإعتزال من توحيد وعدل وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر....الخ

فحين يقول من قصيدة معنونة ب _ هلال لم يكتمل _

وما ذلك إلا أن فيها وديعةً أبى ربُّها أن تستردَّ إلى الحشر[٢]

فالشاعر بعد أن يخاطب ابنه مخبرا له ان ليله طال وصبره خانه،وأن الدنيا أظلمت في عينيه والرملة البيضاء انطفأت أنوارها وما ذاك الا لان الله تعالى استعاد وديعة أودعها للتهامي وهي ابنه المكنى بأبي الفضل.

وفي هذا البيت الشعري توحيد وإشارة واضحة لعدل الله تعالى حتى في الاقدار الكريهة الى نفس الشاعر ولو كانت موت ولده،فإن الله تعالى استرد وديعة وضعها عند التهامي ألا وهي ولده، وصاحب الوديعة لا يظلم المؤتمن إذا ما طلب منه أخذ ما قد استودعه عنده.

ويقول من القصيدة نفسها:

---

١ – انظر: ابن النجار، المستفاد، مصدر سابق ص (٣٥١).

٢ – التهامي، مصدر سابق، ص (٤٧٨).

أتاه قضاءُ اللهِ في دارِ غربةٍ بنفسي غريبُ الأصلِ والقبرِ والقَدْرِ[١]

فها هنا الشاعر يظهر مظهرًا يعد من أوضح وأدق مظاهر التوحيد للمسلمين عمومًا وللمعتزلة خصوصًا الا وهي التسليم للقضاء والقدر والرضى به وهو من أعلى مراتب التوحيد ومدارج السالكين إلى الله تعالى فالشاعر يقول إن قضاء الله تعالى لابي الفضل بالموت جائه في دار الغربة بعيدا عن الوطن حيث الاهل والعشيرة فاجتمع عليه الموت وغربة الدار وغربة القبر والاهل، ومع ذلك فالتهامي صابر محتسب راض عن الله تعالى.

ويقول في نفس القصيدة:

ولكنما أرواحُنا مِلْكٌ غيرِنا فمالي في نفسي ولا فيه من أمر[٢]

والتهامي هنا أيضا يقر بتوحيد الله تعالى، فالارواح ملك لمليك قهار، فليس لنا إلا الرضى والتسليم، وهنا يستمر التهامي رافعًا راية العدل الالهي، فالرضا والتسليم لا يأتي إلا بعد شعور عميق بوجود إله قوي قادر عادل ليس بظلام للعبيد، ومن أهم الأركان في الإعتزال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتهامي يقول من القصيدة نفسها:

ننافسُ في الدنيا غرورًا وإنما قُصَارى غِناها أن يؤُولَ إلى الفقر

وإنا لفي دنيا كرَكْبِ سفينةٍ نظن وقوفاً والزمانُ بنا يجري[١]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٧٨).

٢ – المصدر السابق ص (٤٧٩).

١ – المصدر السابق، ص (٤٨٦).

وهنا الشاعر التهامي يرفع عقيرته عالياً قائلاً: نحن معاشر الناس نتنافس في هذه الدنيا ونتكالب عليها، وانما ننافس على غرور وباطل، فهذه الدنيا دار ممر لا دار مقر، ودار اباطيل لا دار حقائق، وهي خداعة دوارة،اذا اقبلت ادبرت واذا اعطت اخذت، فالغني فيها فقير والمعتمد عليها معتمد على ظلٍ زائل وحائطٍ مائل، فما اشبهنا نحن سكان الارض بركاب سفينة يظن اهلها انها واقفة بهم وهي تجري مسرعة جري الريح كذلك الدنيا تمضي بنا تأكل من اعمارنا وتقضم آجالنا قضمة قضمة فتنقضي هذه الآجال وينتهي العمر ونحن لا نشعر بشيء، كالمخدَّر بلا احساس،او كالمغشيِّ عليه لا قدرة له ولا شعور.

وفي هذه الصرخة الحارة يتضح للمتلقي تمامًا قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمثلًا في الزهد في هذه الدنيا الغرور والإقبال على الآخرة الباقية والاعمال الصالحة.

ولا تقتصر الأفكار عند التهامي على قضية الإعتزال، وانما تتعداها الى فكر آخرى كفكرة الحنين للوطن وفكرة الشوق للحبيب والأهل وفكرة الافتخار بالنفس،والافكار المستودعة في الحكمة التي هي خلاصة الفكر الانساني ولباب التجربة البشرية في هذه الدنيا، فلنتصفح شعر التهامي لنتعرف اكثر على مزيد من افكاره المطوية بين دفتيّ ديوانه.

فالتهامي مثلاً وهو ماكث في الرملة من أعمال فلسطين من بلاد الشام وموغلًا في البعد عن الاهل والديار، نراه لا ينسيه هذا البعد من يحب، فيخاطب المحبوبة مدفوعًا بعاطفة مشبوبة متدفقة، منبثقة عن فكر عميق، وتفكير سامٍ، ووجدان خالص، نراه يقول:

قولا له هل دار في حوْبائه أن القلوب تحوم حول خِبائه[1]

وهنا نجد الشاعر مسكونًا بفكرة الحنين الى مرابع الصبا، ومراتع الطفولة، ومجالس الأنس

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (١٥).

والأصحاب،حيث الحب الأول، وريعان الشباب، والفكر الذي يسحب صاحبه الى الماضي العتيق، والحب الاول، والصحبة الاولى،وهو فكر يدل على ارتقاء صاحبه عاليًا في سلم الوفاء،وتعلقه المتين بحبل الود، خوف انصرام هذا الحبل او تفلته من بين يديه.

والتهامي شاعر طموح باحث عن الشهرة والمجد،فقد ظن أن المال هو السلم الذي يصعد فيه الى سدَّة الحكم والرئاسة، ويرقى به مراقي المجد والخلود، لذلك نجد التهامي وقد تملكته فكرة الحصول على المال والغنى، فنراه لأجل ذلك يمدح ممدوحيه مذكراً اياهم بحقه عليهم بالمال الجزيل اذ لم يبخل عليهم بالمدح الكثير طالبًا منهم بملئ فيه أن يملؤوا يديه مالاً ليصوغ هذا المالُ جسرًا يعبر به نحو السيادة والإمارة.

فالشاعر يقول من قصيدة معنونة ب _ حوى جودا ورأيا_ يمدح بها ابا العلاء المطهر بن عطاء كاتب ابن حميد:

وإذا الزمان نبا بحُرٍّ نَبْوَةً قصد الأكارمَ غُدوةً وعِشاءً

ولقد ظننت بك الجميلَ فكن كما امّلتُ تَغْنم مِدحة وثَناء[1]

فالشاعر يقول: إن الحر والشريف من الناس الذين يستحْيُون أن يسالوا الناس اموالهم، إذا ما اصابتهم السنون، وعضهم الفقر بنابه، فإنهم من عادتهم أن يقصدوا الكرام من الناس فإن اولئك الكرام يستقبلون اضيافهم نهارًا وليلاً بالبشاشة والفرح ولا يحوجونهم لذل السؤال.

---

١ – التهامي، ديوانه ، ص (٢٦–٢٧).

ويقول: أنا أملت وظننت بك خيراً وانك تكرم من يزورك او يمدحك، فكن عند حسن الظن ترى وتغتنم مني مدحا يدوم للأبد.

ويقول التهامي في مناسبة اخرى مؤكدا على نفس الفكرة لأهمية المال وضرورة الحصول عليه من قصيدة معنونة بـ: _ يعتصب المجد على نفسه_ يمدح بها الوزير المغربي الحسين بن علي اب والقاسم:

طار إلى العلياء قومٌ وما قَصَّرْت ولكن كيف لي بالجناح

دون العُلى مَلحمة فخمة سلاحها المال وما لي سلاح [١]

فالشاعر هنا يحرض الوزير المغربي على إمداده بالمال، ليس من أجل جمع المال ولكن ليتخذ المال وسيلة للمجد المؤثل والسيادة والعلياء فيقول: وصل الى المجد رجال هم أقل مني في المرتبة والقدرات ولكن ساعدهم الحظ والمال على الوصول إلى ما وصلوا اليه وبقيت أنا متخلفًا عنهم لا لضعف عندي وفي قدراتي ولكن لقلة ذات اليد وندرة المال.

ويؤكد هذا المعنى في البيت الثاني حيث يقول: طريق العلى صعب مهول، محفوف بالمخاطر والمهلكات، فقبل الحصول على المجد والسيادة لا بد للإنسان من أن يخوض معركة

هائلةحامية وهذه المعركة السلاح فيها المال وأنا لا يوجد عندى شروَى نقير، ولا خيلَ ولا مال، فأنا مجرد من السلاح فكيف اخوض هذه المعركة الفاصلة الموصلة للمجد والسؤدد.

ومن الأفكار التي سيطرت على التهامي فكرة الثقة بالنفس والإعتداد بها والطموح والسعي

---

١ التهامي، ديوانه، ص (٩٥-٩٦).

للرئاسة، فالتهامي يقول من قصيدة معنونة ب_ لا يطلب الجود الا من أناملـه_ يمدح بها أبا طاهر

عبيد الله ابن دمنة المعروف بإبن القماح بآمد:

أقلُ قدرَك أن تُدعي الأميرَ كما أقلُ قدري أن أُدعى من الشُّعراء[1]

فهو يقول: أيها الامير إن أقل لقب توصف به هو الأمير وأقل منصب تصل إليه هي الإمارة، وأما أنا فإن أقل لقب لي أن أكون مجرد شاعر من الشعراء، وهنا يعرض الشاعر تعريضا هو أفصح من كل إبانة وأوضح من أي توضيح. عما يختلج في صدره وينقدح في فكره من رغبة وحب للوصول إلى السيادة والإمارة والمجد والشهرة والصدارة.

ويقول معبرًا عن نفس الفكرة من قصيدة معنونة بـ_ له قلم يفري _ يمدح بها محمد بن طهر:

سأنفق ريْعان الشباب آنفًا على طلب العلياء أو طلب الأجر[2]

فالشاعر يؤكد هنا على رغبته الملحة في الحصول على المجد والعلياء، معلنا بانه سوف ينفق زهرة عمره وريعان شبابه في سبيل هذه القضية التي سكنت فكره وشغلت عقله وملأت لبه.

وبما أن الحكمة الانسانية من أعظم القيم الفكرية لدى الإنسان، فهي خلاصة تجارب الإنسان على مر العصور وكر الدهور، وهي زبدة العقل البشري وعصارة ذهنه، والتهامي كان من اولئك الشعراء الذين ضمَّنوا أشعارهم الكثير من الحكمة، لذلك كان من المناسب أن نعرج على

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٢٠٥).

٢ – المصدر السابق ، ص (٢٥٢)

الحكمة في شعر التهامي كقيمة فكرية عبر عنها في مواقع كثيرة من شعره.

فهو يقول من قصيدة معنونة بـ: – يعتصب المجد على نفسه_ يمدح بها الوزير المغربي الحسين بن علي الحسين ابو القاسم المغربي:

أرحتُ نفسي من عِداتِ الملاحِ للبأس رَوْحٌ مثل رَوْحِ النَّجاحِ[١]

فالشاعر هناك يقول: لقد أرحت نفسي من مصاحبة الجميلات الحسان، وما يستتبع ذلك من ملاحاة ومعاداة من جانبهم لمن يروم وصالهن،والحصول على اعجابهن، وبهذا القرار الذي أخترته بالاجتناب لهن أرحت نفسي وقلبي فإن اليأس أحدى الراحتين، ولليأس فرح يساوي فرح النجاح والحصول على المطلوب، والحكمة هنا تطل برأسها ولا تخفي نفسها، فالطموح دائما قلق معذب، واليائس مرتاح القلب بشرط أن لا يبلغ اليأس مبلغا كبيرا من الإنسان،يشغل قلبه ويمرض جسده.

ويقول من نفس القصيدة مطلقًا حكمة أخرى:

المجد شِربٌ لم يزل ماؤُهُ مُرَقْرَقًا فوقَ صِفاحِ الصِّفاحِ[٢]

فالشاعر هنا يخاطب – الأنا – فيقول لنفسه: لا تحسبن المجد رقصًا وشربًا، إنما المجد يأتي بحمل السيف ومقارعة الخصوم بالضربات الشديدة والقلب الجسور،فالمجد يآيها – الأنا – ماء سائل دائمًا على جنبات السيوف وأطراف الأسنة، فلن تدركي يا– أنا – السؤدد والسيادة بثمن بخس، فلم يسبق

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٨٢).

٢ – المصدر السابق ، ص (٨٦).

أن طال احدهم العسل إلا بثمن يدفعه من لسعات النحل.

ويقول من القصيدة نفسها

قد يَغلب المرء بتدبيره ألفًا ولا يغلبهم بالسِّلاح

وللمُعادي رُتَبٌ في العُلى الرأيُ ثم الكيدُ ثم الكفاح[1]

فالمرء بعقله وتدبيره قبل جنده وسلاحه، فالراي أولا والشجاعة ثانيًا والسلاح اخيرًا،فالحكمة والتقدير قبل شجاعة الشجعان،ومطاعنة الفرسان، فالجيوش تهزم وتدار المعارك وينتصر فيها بالرأي والمكيدة دون ضربة سيف.

وتمضي الحكمة تتدفق على لسان التهامي، فيقول من القصيدة نفسها

يوفر الأمرَ ألا أنما رأْسانِ في تاجٍ خلافُ الصَّلاحْ[2]

فالشاعر يقول عن ممدوحه أنه يتواضع ويترك لغيره المجال ليتصدر، فإن سيفان في غمد واحد لا يجتمعان، كما أنه رأسان في تاج وملكان في عرشان لا يجتمعان،وإجتماعهما إن تم حصل به الفساد والدمار.

ويستمر التهامي يتحفنا بحكم يستخلصها من تجاربه في هذه الحياة، ومن حكم أخرى استخلصها غيره، ويصوغ الكل في قوالب شعرية رائعة بديعة، فيقول من القصيدة نفسها:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٩٢).

٢ – المصدر السابق ، ص (٩٣).

كم ناقصٍ ترجمَ عن فاضلٍ دلَّ على بيتٍ كريمٍ نباحُ[١]

فالشاعر يقول:

كم من كريم فاضل عُرف بين الناس بعد أن حسده الحاسدون وتكلم فيه المبغضون، فأبى الله تعالى إلا أن يظهر كرم هذا الرجل وفضله،عقوبة بالحاسدين ونكاية بهم، فكم من إنسان ناقص خسيس دل على عظيم سيد رئيس، ثم يأتي الشاعر بدليل من حياة العرب الإجتماعية والمعيشية، فيقول: وكلامي دليله ان بيوت الكرم والجود والسماحة لا يدل عليها إلا نباح الكلاب، تلك الدار كأنها تدع والطراق والأضياف.

ويقول من القصيدة نفسها

قد نال بالأقلام ما قصرت أو قصرت عنه طوال الرماح[٢]

وهذه الحكم مكررة عبَّر عنها الشاعر في موضع آخر في القصيدة سبق ذكره، فالشاعر يمدح ممدوحه فيقول: أن ممدوحه ينال ويتحصل بالأقلام والعلم والحكمة والتدبير ما تعجز عنه الجيوش الجرارة والفرسان الكُماة وهذا البيت تفسير للبيت الذي يقول:

قد يغلب المرء بتدبيره ألفًا ولا يغلبهم بالسَّلاح[١]

ويستمر شلال الحكمة بالتدفق من فم التهامي حيث يقول:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٩٣).

٢ – المصدر السابق ، ص (٩٣).

١ – التهامي، ديوانه، ص (٩٢).

يُظهر آلاءُك إخفاؤُها إنَّ النَّدى مسكٌ إذا صينَ فاح[١]

فالشاعر يخاطب الممدوح فيقول: أنت لفضلك وكرمك تنشر العطايا بين الناس وتسترها لتحافظ على كبريائهم وكرامتهم ولكن مع هذا فأخبار فضلك تنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم في يوم ريح صائف، وعطاؤك كالمسك تظهر ريحه الطيبة مهما خبئ وحفظ.

وينهي التهامي حكمه في هذه القصيدة حيث يقول:

دون العلى ملحمة فخمة سلاحها المال ومالي سلاح[٢]

والحكمة من هذا البيت مرت في أبيات سابقة، فالعلى والمجد والسيادة والسؤدد لا يحصل عليها الأنسان إلا ببذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، فل وكانت السيادة أمرًا متاحًا لكل طارف وتالد وكل سائر وطارق لأصبح الجميع سادة ولكن الجود يفقر والإقدام قتَّال.

---

١ – التهامي، ديوانه ص (٩٤).

٢ – المصدر السابق، ص (٩٦).

المحور الثاني:

آفاق الرؤية الدينية والأخلاقية

الدين في اللغة بمعنى الطاعة والانقياد[١]، أما الدين في الإصطلاح الإسلامي فهو امتثال المأمور واجتناب المحظور، أو طاعة الله ورسوله، أو التسليم لله تعالى والانقياد له[٢].

وأما الدين عند الفلاسفة، فقد خصصوه بالناحية الأخلاقية، والأخلاق جمع خُلُق، وهو سجية الإنسان، وطبيعته التي خلق عليها[٣].

والإنسان إن سكت لم يُعرف فإن تكلم أفصح عن هويته، والتهامي شاعر ملتزم محافظ فهل أبان عن نفسه في شعره، وهل وجدت المعاني الإسلامية ، والحديث عن الأخلاق في شعره، الإجابة في الصفحات القادمة بعون الله تعالى.

لقد ظهر الطابع الديني بوضوح في شعر التهامي وخصوصاً في مراثيه لولده أو عند حديثه عن الزهد مثلاً، فالتهامي يقول في قصيدة معنونة بـ: – السفر البعيد – متحدثا فيها عن الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة وحتمية الموت، وفراق الأهل والأحبة:

شَقِيتُ بما جمعت فليتَ شِعري ورائي من يكونُ به سعيدًا[٤]

---

١ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات،(ت: عدنان درويش – محمد المصري)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج١، ص(٤٤٣).

٢ – أنظر السقاف:علوي بن عبد القادر، ومجموعة من الباحثين، الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية سنة ١٤٣٣هـ ، ج(١)، ص (٥).

٣ – انظر:لسان العرب، مصدر سابق،ج (١٠)، ص(٨٦).

٤ – التهامي، ديوانه، ص(٤٣٩)

أعاين حسرةً أهلي ومالي إذا ما النفس جاوزتِ الوريدا

أُعد الزَّاد من تقوى فإني رأيت منيِّتي السفَر البعيدا[١]

تبدَّل صاحبي في اللَّحد مني وهال على مناكبِيَ الصَّعيدا[٢]

وودعني وعزَ عليه أنِـــي أودِعه وداعـــــًا لن أعودا

فلو أبصرتني من بعد عشرٍ رأيت محاسني قد صرن دودا

وحيدًا مفرداً يا ربي عفواً بعبدك حين تتركُهُ وحيداً[٣]

فالمعاني الإسلامية تطفو بوضوح على سطح هذه القصيدة من دعوة الى الزهد في حطام الدنيا وترك جمع المال، بسبب حتمية الموت الذي لا بد للإنسان أن يشرب كأسه حدَ الإرتواء ويعبر به قنطرة الدنيا إلى الآخرة والأبدية، وكذلك فإن التزود بالتقوى ليس عنه بديل، فترك الأهل والأحبة ومفارقة الدار واستبدالها بقبر ضيق ولحد مظلم لا أنيس به سوى الدود والوحَشة، وأطنان التراب سوف تُصبُ فوق هذا الإنسان المنعم المرفه وسوف يترك وحيدًا فريدًا لا حبيب ولا أنيس، وسوف يغير هذا الجمال وتسيل الحدقات على العيون ويسقط الشعر ويبدأ البلى ويمضي الإنسان في سبيل لا عودة منه للوراء أبدًا.

١ـ التهامي، ديوانه، ص(٤٣٩).

٢ – المصدر السابق ، ص(٤٣٩).

٣– المصدر السابق، ص (٤٤٠).

وأوضح ما تكون الرؤيا الدينية عند التهامي في مراثيه لولده أبي الفضل وقد هصرته يد المنون صغيرًا حيث يقول في قصيدة معنونة بـ: – هلال لم يكتمل –:

وما ذاك إلا أنَّ فيها وديعةً أبى ربُّها أن تستردَّ إلى الحشر[١]

وهذا البيت الشعري يحوي في ثناياه معنىً إسلاميًا واضحًا وهو يفسر عدداً من الآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وغيرها من الآيات التي تؤكد على حتمية مواجهة الإنسان للموت.

ويقول من القصيدة نفسها

أتاه قضاء الله في دارِ غربةٍ بنفسي غريبُ الأصلِ والقبرِ والقدرِ[٢]

وهنا ذكرٌ لأصل من أصول الإيمان، فالإنسان لا بد له من مواجهة القضاء المبرم والقدر المحتوم فيشرب من كأس المنون شربة لا قيام بعدها، فلا شفيع في الموت ولا راد لأمر الله تعالى.

ويقول من القصيدة نفسها

ولكنَّما أرواحُنا ملكُ غيرنِا فمالي في نفسي ولا فيهِ منْ أمرِ[٣]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٧٨).

٢– المصدر السابق ، ص (٤٧٩).

٣– المصدر السابق ، ص (٤٧٩).

فالشاعر يقول المال والأرواح والأهلون ملك للواحد القهار وهي ودائع في هذه الدنيا الغرور ولا بد أن تسترد الودائع يوما ما، فما أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا بعثًا لا نشورًا، وكذلك لا أملك لغيري شيئاً.

ويقول محرضاً نفسه على فضيلة الصبر، فالصبر للإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فالصابرون لهم عند الله الأجر العظيم، قال الله تعالى:» ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[١]:

فإن ابكِ فالقربى القريبةُ تقتضي بكائي وإنْ أصبرْ فبُقْيَا على الأجرِ[٢]

فهو يقول إن بكيت فلا تلوموني ولا تثربوا عليَّ فولدي قد سكن مني في الفؤاد، وملأ عيني وصدري، فلا عجب أن أبكي عليه:

ثم يذكر فضيلة الشكر لله تعالى على كل الأحوال، وعند كل نعمة، وفي كل ألم وشجن فيقول من القصيدة نفسها

أيا نعمةً جلَّتْ وَوَلَّتْ ولم أكنْ نهضتُ بما لله فيها منْ شكرِ[٣]

فالعبد المؤمن بين أمرين إما نعمة فيشكر الله عليها وإما إبتلاء فيحمد الله ويصبر، والإنسان إن أجتهد ليعُد نعم الله تعالى فلن يلاقِ نجاحًا في هذا المضمار، فنعم الله تعالى أكثر من أن تعد وتحصى.

---

١ سورة الزمر، آية(١٠)

٢- التهامي، ديوانه، ص (٤٨١).

٣- المصدر السابق، ص (٤٨٢).

ويقول من نفس القصيدة مضمنا معانٍ عظيمة من معاني الإيمان:

ولمَّا تُضْف في نصْرة الله طعنةً إلى ضربةٍ كالتِبْنِ فوقَ شفا النهر[١]

ولمَّا تقمْ للهِ بالقسطِ موقفــًا سأقضي ولمَّا اقضي من مثله نَذْرِي[٢]

فالشاعر يقول: أيها الطفل العزيز ليتك كبرت وأشتد عودك وعظم أمرك، وكنت ناصرًا لله ورسوله بالطاعة واجتناب المعاصي، وبطعن القنا وضرب السيوف، وليتك قمت موقفًا يعجب الله ورسوله، فكنت فيه قاسطًا عادلاً لا تسبق،ولا يدرك شأوك.

ويقول مستمرًا في عرض المعاني الإسلامية ويكررها فهي صادرة من قلب جريح صديع، ونفس ملهوفة:

عليك سلامُ اللهِ ربُّك إنْ تكنْ عَبَرْتَ إلى الأخرى فنحنُ على الجسرِ[٣]

فالشاعر يقول: عليك من الله الرحيم السلام والأمن والأمان فإنك تفوقت على نفسك فعبرت القنطرة الواصلة بين الدنيا والآخرة فسبقتنا، وإنا لا بد بك لاحقون وعابرون لهذه القنطرة، ولعل العقبى خير مما نحن فيه،ويستمر التهامي شاجيًا حزينًا فيقول من القصيدة نفسها:

رجوتك للدُّنيا وللدِّينِ قبلَها ورحتُ بكفً من رجائِهِمَا صِفْرِ[١]

فالولد صنو أبيه والوالد يحب أن يرى شخصه وشبابه في أبنائه، ويحب لهم أن يحققوا أهدافاً لم

---

١ التهامي، ديوانه، ص (٤٨٣).

٢- المصدر السابق،ص (٤٨٣).

٣ – المصدر السابق ، ص (٤٨٣).

١ – المصدر السابق، ص (٤٨٥).

يقدر هو على تحقيقها يوماً، فيقول: لقد رجوتك أن تعمر الدنيا وأن تخدم الدين ولكن للأسف فموتك جعلني أرجع من كل ذلك أسيفا كسيراً، خالي اليدين،خاوي الوفاض، صفر الكفين، فيالعظم الخسارة، وما أعظم الحسرة.

ثم يعلنها التهامي مدوية صريحة – ألا أيها– الأنا– و–الغير– اسمعوا وعوا:

ننافس في الدنيا غُرورا وإنَّما قُصارى غِناها انْ يؤول الى الفقرِ

وإنا لفي الدنيا كركبِ سفينةٍ نُظن وُقوفاً والزمانُ بنا يجري[1]

فالدنيا دار غُرور، فهي دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فعلام نتنافس فيم يفنى وننشغل بها عم يبقى، فنحن كراكبي سفينة تجري بهم جري الرياح وهم يظنون انفسهم وقوفا لا يتحركون، فإلى الله المشتكى.

إلى الله أشْكُو ما أُجِنُّ وإنني فقدتك فقدَ الماء في البلدِ القفرِ[2]

ويقول:

بمهذَّبٍ لولا صفيحةُ وجهه لَجَرَي على الخديْنِ ماءُ حيائِه[1]

فهذا الامير المظفر المنصور، مؤدب مهذب،لا فظُ ولا غليظ،شديد الحياء حتى ممن هو في حاجة اليه، ويقول من القصيدة نفسها:

---

١ – التهامي، ديوانه ص (٤٨٦).

٢ – المصدر السابق ، ص (٤٨٦)

١ – المصدر السابق،ص (١٩).

لا خلقَ أعظمُ منه عندي منَّةً إلا زمانًا جادَ لي بلقائه[١]

وهذا الأمير عظيم المنة والعطية، كريم معطاء سخي جواد، لم أجد ممن قابلت من الرجال من يشبهه، إلا أن الزمان الذي جاء به أعظم منة منه وذلك بسبب جوده بهذا الكريم المفضال.ويقول من القصيدة نفسها

يُنْبيك رونقُ وجهِه عن بشرِه والسيفُ يعرفُ عِتقُه من مائِه[١]

وهذا الرجل المهذب النبيل، جميل الوجه،مستبشرٌ في وجه من يلقاه، لا عبوس ولا كدر.

ويقول من القصيدة نفسها

سمحُ الخليقةِ والخلائِقِ وجْهُه بِشرٌ يبشِّرُ وفرةً بعطائِه[٢]

وهذا الرجل، سهل، هينٌ لينٌ، إبتسامته في وجهه لصيقة به، يبشر بها الوفود التي تأتي لتنال نواله.

ويقول من القصيدة نفسها

زان الرئاسةَ وهي زينٌ للوَرى فأزدادَ رونقُ وجهِهَا بعلائهِ[٣]

والممدوح هنا بعكس الناس في نظر الشاعر، فإذا كانت الرئاسة والإمارة تزين أصحابها، فإن الممدوح رفيع القدر، جليل النفس، يزين هو الرئاسة والإمارة، بعلو أخلاقه وطيب نفسه.

ويقول من القصيدة نفسها

ترى له حلماً اصمَّ ونائلاً نِدساً يجيبُ الوعدَ قبلَ دعائِه[٤]

وهذا الممدوح حليم معطاء واصمَّ عن سماع الأخبار التي تقدح في الآخرين، ولكنه مرهف

---

١ التهامي، ديوانه، ص (١٩).

١- المصدر السابق، ص (١٩).

٢ – المصدر السابق ، ص (١٩).

٣ – المصدر السابق ، ص (١٩).

٤ – المصدر السابق، ص (٢٠)

الحس والسمع إذا ما ظن أن أحدهم بحاجة للمساعدة والعطاء.

ويقول متابعاً من نفس القصيدة مخبرًا عن أخلاق ممدوحه:

هيهات يشرِكه الورَى في مجدِه أبداً وإن شركوه في أسمائِه[١]

وهذا الممدوح صاحب أمجاد غير طارئ على السيادة ورث المجد والعلا كابراً عن كابر.

وأما لسان الممدوح فهو:

حلو الثناء ممدَح يلهيك عن حسن الثنايا الغر حسنٌ ثنائه[٢]

فهو لطيف المعشر، حسن المحادثة، جميل الكلام، يمدح ويثني على زائريه قبل أن يمدحوه هم على حسن عطائه وسعة جوده.

ويقول من القصيدة نفسها

لما تزايدَ في العلو تواضعاً للهِ زادَ اللهُ في إعلائِه[٣]

فهذا الممدوح على إمارته وسيادته وجوده وعطائه وإقدامه رجل متواضع، كلما إزداد علواً إزداد تواضعاً لخالقه الذي أكرمه بهذه الصفات التي فاقَ بها أقرانه وظهرت لأعدائه وأصحابه على حد سواء.

وهكذا يمضي الشاعر سارداً لجملة كبيرة من الأخلاق التي يحبها ويجلها ويراها في هذا الممدوح.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٢١)

٢ – المصدر السابق، ص (٢١)

٣ – المصدر السابق، ص (٢١).

الفصل الثالث

جماليات اللغة الشعرية وفيه محاور:

المحو الأول: الأساليب وخصائصها:

أ- أسلوب التعبير بلغة اللون.

ب- أسلوب التعبير بلغة البديع.

ت- أسلوب التكرار.

المحور الثاني:الألفاظ الشعرية.

١- ألفاظ البيئة البدوية.

٢- ألفاظ البيئة الحضرية.

٣- الألفاظ الدينية.

٤- ألفاظ الطبيعة.

المحور الثالث: التراكيب وأنواعها:

المحور الأول: الألفاظ وخصائصها:

اللفظة: هي المادة الأولية الخام لصناعة أعذب القصائد الشعرية، وأجمل القطع النثرية.

والألفاظ موجودة قبل الشعر، يعرفها الصغير والكبير، والشيء المهم هو ترتيب هذه الألفاظ وتنظيمها بحيث نخرج بها اللغة من وظيفتها التوضيحية إلى الوظيفة البلاغية الجمالية، فتجعل النص الشعري أو النثري الأدبي مختلفاً تماماً عن الكلام العادي الذي يستخدمه العوام للتعبير عن أفكارهم وآرائهم[١].

يقول الدكتور عبد اللطيف عمران: «جمال اللغة طريق نح وشاعرية الألفاظ والمعاني، ونح واستحسان الصورة والخيال، وتتضح جمالية القصيدة من مباشرة النظر في ألفاظها، ومن استساغة النطق بجرس حروفها»[٢].

ومن الأساليب اللغوية اللفظية في شعر التهامي:[٣].

- **التعبير بلغة اللون.**
- **التعبير بلغة البديع.**
- **التعبير بلغة التكرار.**
- **وألفاظ البادية، والحاضرة، والألفاظ الدينية وألفاظ الطبيعة.**

أ- التعبير بلغة اللون:

١ – انظر: الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، عمان، الأردن، ط١، ص(١٥-٦٧)

٢ – عبد اللطيف، عمران، شعر ابي فراس الحمداني دلالته وخصائصه الفنية، دار الينابيع، دمشق، ط١، ١٩٩٩، ص (٢٠٤).

٣ – عبد اللطيف، عمران، المرجع السابق، ص (٢٠٤).

ب- اللون في شعر التهامي:

لغة الألوان لغة مستقلة بذاتها، ولطالما عبر الانسان عن مكنون سره وخافي أمره باللون.

ولقد عرفت الأمم والشعوب الألوان وما ترمز إليه، فاللون الأخضر غالباً ما يرمز إلى الأمل والتفاؤل والعطاء والجمال والبهجة ، ويأتي دالاً على الحياة والأمل والاستبشار، وارتبط اللون الأحمر بدلالته على الدم وما يعني من الصراع والقتل والموت والثورة والحرب، والأزرق يرمز إلى الصفاء والشفافية، وقد يدل على عالم السماء وعالم الأرض من ماء المحيطات والبحار وغيرها، وقد يدل في سياقات خاصة على الحزن والكآبة والضياع والأبيض هذا اللون الجميل يدل غالباً على الأمل والتفاؤل، والصفاء والتسامح ويدل على النقاء، وقد يدل على التشاؤم والاقتراب من الخروج من الدنيا، ويرتبط ذلك التشاؤم بلون الشيب، كما يدل اللون الأسود على القوة، وهي تراكيب استخدمها الشعراء قديماً، فالرماح السود قوية، وقد يدل اللون الأسود على الشؤم والدمار، وعلى الحزن والحداد[١]، «ويدل اللون الأصفر على المرض»[٢]، وقد يعني الخداع ويعني الزيف، ارتبط اللون الأصفر بالخريف وتساقط الأوراق عن الشجر ليوحي بدلالة تعني الموت والانتهاء.

وقد يدل اللون الأسمر على الأرض وما تعني من التراب والرمال، وقد تدل السمرة على الأصالة والمنعة والقوة، وكثيراً ما تغنى الشعراء بالقنا السمر.

وقد يدل اللون الأشقر على دلالة جمالية تتعلق بشعر المرأة أو بشرتها، والشقرة قد تساوي عند الشاعر الحزين نوراً، كأشعة الشمس يضيء الطريق ويرشد ويهدي[٣].

وهكذا إذا دلفنا إلى عالم اللون فإننا ندخل عالماً جميلاً ساحراً، مليئاً بالاشارات والدلالات العميقة والرموز.

---

١ – انظر: الزواهرة، ظاهر محمد هزاع، اللون ودلالاته في الشعر، دار الحامد للنشر، عمان، ط١، سنة٢٠٠٨م، ص (٢٣-٩٧).

٢ – الصحناوي، هدى، فضائات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجا، دار الحصاد دمشق، سوريا، ط١،سنة٢٠٠٣، ص(٦)

٣- انظر: الزواهرة، مرجع سابق، ص(٩٧-١١٦)

فاللون « يوقظ الأحاسيس وينمي الشعور، ويبهر النظر، وهو إما أن يكون مثيراً للعاطفة أو مهدئاً للنفس، ويظهر ذلك من خلال ما نفضل من ألوان، عندما نقوم بتزيين مسكننا أو اختيار ملبسنا»[١].

وهناك مرادفات لونية حيث أن بعض الكلمات إذا ذكرناها تبادر إلى أذهاننا فوراً لوناً معيناً، وهي تختلف وفق توظيف الشعراء لها ومن الأمثلة عليها:

الكلمة	الدلالة اللونية
الثلج	اللون الأبيض
الصباح	اللون الأبيض
الشيب	اللون الأبيض
الفضة	اللون الأبيض
الليل	اللون الأسود
الحداد	اللون الأسود
الرماد	اللون الأسود
الحزن	اللون الأسود
الظل	اللون الأسود
الظلام	اللون الأسود
الدم	اللون الأحمر
الحناء	اللون الأحمر
الذهب	اللون الأصفر
الزيتون	اللون الأخضر

وهناك كلمات تثير في أذهاننا أكثر من لون وهي كما يلي:

١- طالو، محي الدين، اللون علما وعملا، دار دمشق للطباعة، سوريا ، ط٣، المقدمة، ص(٥).

- الزنبق: ألوان مختلفة ، أبيض، كحلي، ملون.
- والياسمين: الأبيض، والأصفر.
- والسوسن: الأصفر والقرميدي.
- الليلك: لون بين الزرقة والحمرة[١].
- وقد اهتم الإنسان باللون منذ القدم، واتخذ اللون عنده معان رمزية بحسب الخبرة الخاصة له وحتى إن الإنسان البدائي الذي عاش قديمًا أو ما زال يعيش بعيدًا عن مظاهر الحضارة بيننا اتخذ من الوشم بالألوان طريقة لدفع الأذى والأرواح الشريرة أو للتعبير عن قداسة الأشياء. كما أن الإنسان اتخذ من الألوان وسيلة لتزيين المعابد والبيوت.وفيما يرى الرسام اللون بصرياً يراه الشاعر رمزيًا[٢].

دلالات الالفاظ في اللغة المحكية اليومية:-

لم يقتصر استخدام الألوان واسمائها وصفاتها على الشعراء والكتاب انما انتقل اللون الى لغة الحديث اليومي فيقال بالإنجليزية كذبة بيضاء أي بلا ضرر، سوق سوداء لعقد الصفقات غير المشروعة ويقال فلان ذو قلب أسود أي حاقد ويقولون في المصرية يا خبر أسود اي الخبر السيء خلافا للخبر الابيض.

يوم أزرق في الإنجليزية وقمر أزرق على التوالي يعنيان يومًا سعيدًا وشيئًا نادرًا، ويقال في العربية رجل ذو قلب أخضر أي يرغب بالحب والزواج، في الفرنسية المشكلة السوداء تعبر عن

---

١ – الزواهرة، مصدر سابق، ص (١٣١–١٣٢).

٢ – نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، مصدر سابق، ص(١٧٧–١٩٥).

قضية العبيد، والأيدي السود تعبر عن الطغاة والمستبدين.الأفكار السوداء تعبر عن القلق، يقال صفحة بيضاء دلالة على البداية الجديدة، صاحب الكرت الأبيض هو الذي يملك صلاحيات دون اللجوء للإذن أو موافقة أحد ما، اليد البيضاء اي الأمينة والنظيفة وصنعة المعروف، زواج أبيض أو إمتحان أبيض أي بلا تبعات مرتبطة بهما.

عيون زرقاء أو خضراء دلالة على اللؤم، عيشة خضراء أي هنية.ضحكة صفراء أو ابتسامة صفراء أي ماكرة وخبيثة[١].

الألوان في الثقافات المختلفة:

اعتُبر اللون جزءاً مهماً في الحضارات الإنسانية، ففي الحضارة الفرعونية، نجد أن المصريين استخدموا ألواناً عدة في صناعاتهم ومنحوتاتهم وتماثيلهم التي كانت تحمل معاني رمزية، حيث نجد أن اللون الأزرق ارتبط بالماء والنيل، واللون الأخضر بالزراعة، والأصفر بالشمس، والأحمر والبرتقالي بالطاقة والدم.

وفي الحضارة الهندية نجد أن اللون الأحمر يعني الطبقة الأرستقراطية وفي اليابان يستخدمونه لطرد الكوابيس، واللون الأصفر يعبر عند الصينيين عن القداسة والأبيض يرمز إلى الأطفال بينما في الغرب يرمز الأبيض إلى النصر والسلام، واللون البنفسجي إلى المال والثراء عند الصينيين بينما نجده في الغرب يرمز إلى التباهي والتفاخر، وكل هذه الرموز والمدلولات كانت

١ – خليل، إبراهيم محمود، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، المجلد٣٣، عدد٣، سنة٢٠٠٦م.

نتيجة طبيعية للبيئة الجغرافية التي تمتعت بها تلك الحضارات، بالإضافة إلى التبادل التجاري الذي كان بين شعوب تلك الحضارات نتج عنه احتكاك ثقافي أثّر في علومهم وثقافتهم[١].

وقد استخدم الشعراء لغة الألوان الفاتنة بدلالاتها الكثيرة، ومنهم شاعرنا التهامي، فهل يا ترى أكثر التهامي من استخدام لغة الألوان أم لم يكثر؟ ولا بد للإجابة عن هذا السؤال من استقصاء وتتبع اللون في شعر التهامي، فلننظر في ديوانه عسى أن نظفر بالجواب.

يقول التهامي في قصيدة معنونة بـ – كنز الفقير ونَجعَة المتأدب – مادحاً الرئيس أبا عبد الله جعفر بن محمد المغربي:

وأبو عبيدِ اللهِ درةُ تاجِهم وسوادُ ناظِرِهم وقلبُ المقْنِبِ[٢]

فالتهامي هنا يأتي باللون الأسود واصفاً به العيون؛ ليقول بأن ممدوحه بالنسبة لمن حوله كالسواد للعين – توظيف ايجابي– للون الأسود، وكما أن العين محفوظة بجفنين فإن التهامي يسبق هذه الصفة بوصف الممدوح بأنه لؤلؤة التاج، ويتبعها بصفة الممدوح بأنه قلب الجيش.

فكأن الشاعر من طرف خفي يريد أن يقول أن – سواد نواظرهم – هي أهم ما يميز الممدوح عن غيره، وبها بزَّ أقرانه ومنافسيه.

ويقول في قصيدة أخرى معنونة بـ – له قلم فيه المَنِيَّة والمُنى– يمدح بها هبةَ الله بن حيدرة القاضي:

وأسوَدُها في القلبِ أسودُ سالخٍ وأبيضّها في الجسمِ أبيضُ مقضِبِ[٣]

فالشاعر هنا يذكر لونين هما الأسود والأبيض وقد جاء ذكر هذين اللونين في معرض وصفه

---

١ – انظر: خليل، إبراهيم محمود، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، مصدر سابق.، ص(٧٢).

٢ – التهامي، ديوانه، ص (٥٢).

٣ – المصدر السابق، ص (٥٥).

لمحبوبته فهو يقول في البيت السابق لهذا البيت أن عيون ولمحات محبوبته يأخذ باللب ويبهر الأبصار، وإن جُرِّبت هذه المحبوبة وعيونها في العشق فهي البصيرة فيه والخبيرة ،فهو يقول: أن ما يظهر من عيون محبوبته من فعل مؤثر قوي –أسود– له تأثير وتحزين في قلب المحب كالحية السوداء شديدة السواد، وإن هي حنَّت ورقت وعطفت فإن فعلها – الأبيض– في جسم المحبوب كفعل السيف القاطع –أبيض مقضِب– تدمي وتجرح.

وفي نفس القصيدة وفي معرض حديثه عن محبوبته يقول:

ولم أَنْسَها تَصْفَرُ من غربةِ النَّوى كما اصفرَّ وجهُ الشمسِ ساعةَ تغربِ[١]

والشاعر هنا يأتي على ذكر اللون الأصفر دلالة الفراق والخوف والقلق، فيقول ولم يذهب عن خاطري اصفرار وجهها خوف الفراق والبعد، كوجه الشمس يكون أصفر ما يكون إذا قاربت الشمس المغيب.

ويقول الشاعر في القصيدة نفسها:

وتُشَكِّلُ أَغْفَال الطريقِ بحُمْرَةٍ من الدم في أخْفافِها حين تُثْقَبِ[٢]

فالشاعر هنا يأتي على ذكر اللون الأحمر –بحمرة من الدم– في معرض وصفه نفسه على سبيل الفخر، فيقول أن ناقته تشكل وتعلم الطريق المبهمة الخالية من كل علاقة يسترشد بها الغادي أو الرائح بدماء حمراء تسيل من أخفافها حين تنقب من الحجارة والأشواك.

ويقول في نفس القصيدة في معرض ذكر لممدوحه:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٥٥).

٢– المصدر السابق، ص (٥٧).

يردٌّ أديمَ الأرضِ أشقرَ من دم إذا لفَّه بالخيل أشقرُ مقرَّبِ[١]

ذكر الشاعر اللون الأشقر وهو لون رمال الصحراء فيقول أن ممدوحه يغير هذا اللون إلى الأحمر، ولكنه لم يأت على ذكر اللون الأحمر هنا مباشرة بل بلفظة دمٍ لتدل عليه، وذلك يكون حين تحيط بأعدائه خيولُه الشقراء.

حيث يعود الشاعر ليذكر اللون الأشقر مرة اخرى حين يصف خيل وأفراس الممدوح، فهذه الثنائية بين اللونين الأشقر والاحمر يستخدمهما الشاعر باحتراف عال ليصور شجاعة الممدوح وشدة بأسه.

ويذكر فيالقصيدة نفسها في معرض مدحه للممدوح أيضاً قائلاً:

أغرُّ كّأَنَّ الوجهَ منهُ مُفَضَضٌ وما قاربَ الأرساغَ فهو مُذَهَّبُ[٢]

فالشاعر هنا يذكر وصف الوجه بأنه مفضض أي فضي متلألأ، وأما الأرساغ فهي عند الممدوح مُذَهَبَة أي ذهبية تتوهج، واللون الفضي واللون الذهبي مما تعارف الناس عليه أن يصفوا بهما ممدوحاً أو فجراً طالعاً أو شمساً مشرقة.

ويقول التهامي في قصيدة معنونةٍ بـ- ذريني أشم أنواره - يمدح فيها الأمير معتمد الدولة أبا المنيع قرواشاً بن المقلد ابن المسيب:

---

١ - التهامي، ديوانه، ص (٥٩).

٢ - المصدر السابق ، ص (٦٠).

ترى حولَه بيضَ اللَّهى ودمَ العِدى وسُمرَ العَوالي والمُطَهَّمة القُبّا[١]

وهنا نجد التهامي سابقاً لزمنه حيث جعل الأنوار تشم ونحن نعلم أن النور يبصر ولا يشم وهذا ما يعرف بعلم الأدب بتراسل الحواس وهو « التزامن بين المدارك التي تنتمي إلى حواس مختلفة كالبصر والرائحة هنا»[٢].

فالشاعر هنا يصف الأمير حين ينظر إليه الناظر فلا يجد إلا صوارم بيضاً مشرعة، ودم الأعادي مسفوحاً أحمر قانياً، وأما رماحه فهي سمر طويلة وخيوله فهي جميلة أصيلة.

وقال في قصيدة يمدح بها أبا محمد بن الحسن بن الجواد في الكوفة، ويقال في محمد بن سلام في مدينة صور، معنونة باسم –قيامه في الفضل مثل قعوده–.

بيضُ الأماني في بياضِ كتابِه وكذا المنايا سودُها في سُودِه[٣]

فالشاعر هنا مستخدماً اللونين الأبيض والأسود، يقول واصفاً ممدوحه بالكرم والشجاعة، فأما المحبون له فيجدون عنده ما يتمنون وما يأملون من كرم وسماحة وجود كصفحات كتبه وأما أعداؤه فيجدون عنده ما يكرهون من منايا ومصائب سوداء كحروف الصفحات.

ويقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ – غنى مغنينا بمدحك– ، يمدح بها الأمير معتمد الدولة قرواشاً بن المقلد بن المسيب:

يحنُّ إلى أسمائِه كلُّ مِنبَرٍ ويستطيعُ اهتَزَّ واخضرَّ عودُها[٤]

فالشاعر هنا بعد أن وصف ممدوحه بالكرم والشجاعة وغيرها من الصفات في الأبيات السابقة لهذا البيت يقول بأن الفصاحة والبيان أيضاً من صميم صفاته، فالمنابر تشتاق لأن يصعد عليها

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٦٠).

٢ – وصيفي، عبد الرحمن محمد، تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا. سنة٢٠٠٨م، ص(المقدمة وما بعدها)

٣ – التهامي، ديوانه، ص(١٢٧)

٤ – المصدر السابق ، ص(١٣٣)

ويرقاها، وهذه المنابر المنجورة من خشب أو مبنية من الطين لو استطاعت لاهتزت واخضرت منها الأعواد والأخشاب فرحاً بهذا الرقي، فهنا نجد الشاعر مستخدماً اللون الأخضر دلالة البعث والحياة موظفاً إياه بشكل حسن في معرض وصف الممدوح.

وهكذا نجد أن المعجم اللوني عند الشاعر التهامي غزيرٌ، فهو يكثر من ذكر الألوان، ونجد أن اللونين الأسود والأبيض كثيران في معجم الألوان عند التهامي، يليهما اللون الأحمر، ثم لا يقف التهامي عند حد هذه الألوان الثلاثة ولكنه يتجاوزها إلى اللون الفضي فالذهبي فالأشقر والأسمر، وهكذا يمضي التهامي موظفاً ألوانه بشكل جميل معبر، فالأبيض على الفرح والأسود على الحزن، والأخضر على الحياة، والأسمر على القوة.

واللونان الأبيض والأسود سادا المعجم اللوني عند التهامي لذلك سوف نقوم بدراسة هذين اللونين عبر قصيدتين من قصائد التهامي لنتعرف على السياقات التي استخدم بها التهامي هذين اللونين.

اللون الأبيض واللون الأسود في قصيدة المديح – لا خلق أعظم منه –

اللون الأبيض صراحة	لفظة او صفة توحي بالأبيض	اللون الأسود صراحة	لفظة او صفة توحي بالأسود
	اللألاء – البيت (٢)، ص(١٥)		غسق – البيت (٣) ص (١٦)
	الضياء – البيت (٣)، ص(١٦)		الدجى – البيت (٣) ص(١٦)
	جلاً – واضحا، كالبدر، ضيائه، البيت ٦ ص(١٦)		الليل، الدجى – البيت (٥) ص(١٦)
	الصباح – البيت ٧ ص(١٦)		الظلام –البيت (٧) ص(١٦)
	الزهر – البيت ٨ ص(١٦)		نوما – البيت (٨) ص(١٦)
	شهاب الشوق –		أحرق، سودائه –

	البيت ١١ ص(١٧)		البيت (١٣) ص(١٧)
	نور كوكب، سنائه – البيت ١٧ ص(١٧)		اشوى – البيت (١٩) ص(١٨)
	صفيحة وجهه –البيت ٢١ ص(١٩)		
	رونق وجهه، بشره، السيف، البيت (٢٣) ص(١٩)		
	وجهه بشر يبشر – البيت (٢٤) ص(١٩)		
	رونق وجهها – البيت (٢٥) ص(١٩)		
	كالدر، بهائه، لبة الحسناء، بهائه – البيت (٢٦) ص(٢٠)		
	حسن الثنايا، الغر – البيت(٣٣) ص(٢١)		
	يجل و– البيت (٤٤) ص(٢٣٩		
	هلال – البيت (٤٤) ص(٢٤)		

وهنا نجد الشاعر في قصيدة المديح يذكر ما يدل على اللون الأبيض من لفظ او صفة ست عشرة مرة وذكر ما يدل على اللون الأسود تسع مرات مؤكدا سيادة اللون الأبيض على الأسود في مقام المدح، مما يدل على نفسية متفائلة سعيدة تنتظر عطاءً ونوالاً من الممدوح، ونرى شاعرًا على وشك ان يودع الفقر ويركب في القطار السريع الموصل الى الغنى والراحة.

والان نجري مقارنة بين اللونين الأبيض والأسود في قصيدة رثاء معنونة بـ: – هلال لم يكتمل–.

اللون الأبيض صراحة	لفظة او صفة توحي به	اللون الأسود صراحة	لفظة او صفة توحي به
الرملة البيضاء – البيت (٢) ص(٤٧٨)	فجر – البيت (٢) ص(٤٧٨)		الليل – البيت٠١) ص(٤٧٨)
بيضهم – البيت (٤١) ص(٤٨٢)	الشمس – البيت (٤) ص(٤٧٨)		اظلمت، ليل – البيت (٢) ص(٤٧٨)
البيض –البيت (٤٣) (٤٨٣)	ضياؤه – البيت (٥) ص(٤٧٨)		كوكباً، القمر، الدر – البيت (٤) ص(٤٧٨)
	رضاع، افاويق – البيت (١٨) ص(٤٨٠)		القبر – البيت (٨) ص(٤٧٩)
	اثغاره، لم يثّغره – البيت (٢٠) ص(٤٨٠)		القبر – البيت (١٥) ص(٤٧٩)
	ماء وجهه – البيت (٢٢) ص(٤٨٠)		ماء الظلم – البيت (٢٢) ص(٤٨٠)
	يقظتي –البيت (٣٩) ص(٤٨١)		إنسانها، إنسان العين، سوادها – البيت (٨٠) ص(٤٨١) لجج البحر – البيت (٣٠) ص (٤٨١)
	الحباب – البيت (٤١) ص٠٤٨٢)		خيال، نومي – البيت (٣١) ص(٤٨١)
	الضوء – البيت (٥٠) ص(٤٨٣)		دفنت – البيت (٣٦) ص(٤٨٢)
	المشيب – البيت (٦٥) ص(٤٨٥)		الهلال، البدر –البيت (٣٧) ص(٤٨٢)

	نجوم الشيب – البيت (٥٧) ص(٤٨٦)		سطرا الى سطر – البيت(٤٠) ص(٤٨٢)
			ظل اللواء – البيت (٤٧) ص(٤٨٣)
			النجم – البيت (٥٠) ص(٤٨٣)
			خيالك – البيت (٥٧) ص(٤٨٤)
			السحائب – البيت (٥٣) ص(٤٨٤)
			الموت – البيت (٥٦) ص (٤٨٤)
			الردى – البيت (٥٧) ص(٤٨٤)
			العنبر الجون – البيت (٦٨) ص(٤٨٥)
			ظلم الشعر – البيت (٧٧) ص(٤٨٦)

وهنا نلحظ أن الشاعر في قصيدة الرثاء ذكر اللون الأبيض صراحة ثلاث مرات وما يدل عليه من لفظ أو صفة ثلاث عشرة مرة وذكر ما يدل على اللون الأسود من لفظ او صفة اربع وعشرين مرة وفي هذا اوضح الدلالة على الحالة النفسية الشاجية والحزينة الباكية التي انطلق من خلالها التهامي في قصيدته هذه، فهو الأب المكلوم الذي فقد ابنه الوحيد على الكبر وبعد ان غزا الشيب رأسه أو كما يقول هو عن نفسه: والتهامي في هاتين القصيدتين نراه لم يصرح بذكر اللونين الأبيض والأسود صراحةً، ولكنه عمد إلى ذكر ما يدل عليهما من ألفاظ تجاوزت العشرات من المرات وبهذا يخرجنا النهامي قاصدًا أو عن غير قصد إلى اللغة الإيحائية بكل روعتها وتجلياتها، فأحيانًا يكون الرمز

إلى الشيئ أبلغ دلالة وأكثر تأثيرًا من التصريح بهذا الشيئ فالرمز والتلميح والإيحاء لغة يفهمها الشاعر ويقدرها لذلك يكثر منها في شعره لتحفيز ذهن المتلقي وخياله

إلى الله أشكو ما أُجن وإنني فقــدتك فقد الماء في البلد القـــــفر
على حين جُزْت الأربعين مُصَوِّبًا ولاحت نجوم الشَّيْبِ في ظُلَمِ الشَّعْرِ[١]

ت-التعبير بلغة البديع:

البديع في شعر التهامي:

البديع: « وهوعلم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»[٢].

أو هو: « تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي او المعنوي»[٣].

ومن أنواع البديع الطباق، والجناس، والتصريع والتورية، ورد العجز على الصدر، ورد الصدر على العجز، والمقابلة....الخ.

وقد وجد البديع مذ وجدت القصيدة العربية، لكنه جاء في القصيدة الجاهلية قليلاً عف والخاطر، ثم كثر بعد ذلك وصنفت فيه الكتب ككتاب البديع لابن المعتز العباسي.

والتهامي شاعر ولد في عصر ازدهر فيه علم البديع ، فلا غر وإن وجدنا في شعره البديع، ولكن هل أكثر التهامي في شعره من البديع أم أقل؟ هذا ما سوف تجيب عنه الصفحات القادمة بإذن الله.

يقول التهامي في قصيدة معنونة بـ: - سيف الدولة الملك - يمدح بها محمد بن محمود ويعاتبه:

---

١ - التهامي، ديوانه، ص (٤٨٦)

٢- القزويني، الخطيب، كتاب الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، تحقيق محمد خفاجي، ج١، ط ١٩٧٥، ص ٤٧٧.

٣- الجارم، علي، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، ط٧، ص(٢٦٣).

بدا البرقُ من نجدٍ فحَنَّ إلى نجـــدِ أيا بارقاً ماذا نشرْتَ من الوَجدِ[١]

يبتدئ الشاعر قصيدته بذكر نجد وهضابها فيقول أن البرق لمع في الجبال الشاهقة فجالت بخاطري هضاب نجد، فيا أيها البرق كم تحمل في ثناياك من الأشواق والحنين، ففي هذا البيت تصريع[٢] بين نجد والوجد، أي بين العروض والضرب وفيه تورية[٣].

وإيهام في كلمة نجد الأولى حيث يظن السامع أنها تعني نجد الأرض، والمعنى البعيد الجبل وهو المراد.

ويقول في البيت الثاني من هذه القصيدة:

وما حنَّ من وَجْدٍ بنجدٍ وإنما يحِن إلى نجد لمن حَلَّ في نجْد[٤]

فالشاعر يقول أن الحب والشوق ليس للأرض بسهولها ونجودها، وإنما الحنين والشوق لمن يسكن تلك الديار من أحبة وأهل، ففي هذا البيت نجد أن الشاعر استخدم الجناس [٥] بين وجد ونجد ونجد ولا تخفى الموسيقى الظاهرة في البيت بسبب هذا الجناس.

ويقول الشاعر في البيت الثالث من القصيدة نفسها

سقى العهدُ من هندٍ عِهاد مِن الحَيا ضَحوكُ ثنايا البَرق منتَحِبُ الرَعْدِ[٦]

يقول الشاعر لقد أحيا عهد وزمن الوصال من هند، عهاد من الحيا وهو مطر الربيع الذي نزل وكأنه ضحكة جميلة من فم البرق المتبوع بالرعد، ففي هذا البيت الشعري جناس بين العهد

١- التهامي، ديوانه، ص(١٤١)

٢ – التصريع: جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، الايضاح للقزويني، مصدر سابق ص ٥٥١.

٣ – التورية وتسمى الايهام وهو: ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما، الايضاح للقزويني، ص ٤٩٩.

٤ – التهامي، ديوانه، ص(١٤١)

٥ --الجناس بين اللفظين وه وتشابههما في اللفظ، القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ص(٥٣٥)

٦ – التهامي، ديوانه، ص(٥٣١)

وعهاد، وفيه طباق[١] بين ضحوك ومنتحب.

ويقول في البيت السادس من القصيدة:

هي الشمسُ تخْفَى الشمس عنها إذا انتمت قضاعيةُ الأخوال فهريَّةُ الجَدِّ[٢]

يقول الشاعر عن محبوبته هي في جمال الشمس ونورها ولكنها تتفوق على الشمس في حسبها ونسبها أما أخوالها فمن قضاعة وأما أجدادها فمن بني قضاعة.

ففي هذا البيت تورية بين كلمة الشمس الأولى حيث يتبادر للذهن الشمس أو النجم العظيم الملتهب الذي يشرق على الدنيا صباحاً ويغرب ليلاً، وهناك معنى بعيد مراد وهو الحبيبة الحسناء.

ويقول في البيت الخامس عشر من القصيدة نفسها

مطوَّحةٌ لولا الدراريُّ ما درى دليل بها كيف السبيل إلى القصدِ[٣]

وفي هذا البيت يوظف الشاعر الجناس الناقص[٤] بين كلمتي الدراري وما درى وما توحيانه من من جرس موسيقي واضح في توصيف الحالة النفسية التي يعشها قاطع الصحراء من رغبةٍ في سرعة المشي وتلهف لإنهاء الرحلة.

ويقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ: – كنز الفقير ونجعة المتأدب– يمدح الرئيس أبا عبدالله جعفر بن محمد المغربي:

---

١ – الطباق هي التضاد: وهي الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، الايضاح، مصدر سابق، ص(٤٧٧)

٢ – التهامي، ديوانه ص(١٤٢)

٣ – المصدر السابق ، ص:١٤٣

٤ – الجناس الناقص: وه والتشابه بين اللفظين، وأن يختلفا في أعداد الحروف فقط، كزيادة حرف أو أن يختلف بزيادة أكثر من حرف واحد – القزويني، القزويني، الايضاح، ص ٥٣٩

طابت محامِدُهُ فطَابَ وإنّما تَزْهَى العُلى بالطَّيِّب ابن الطَّيِّب[١]

ففي هذا البيت نكتة بديعية وهي رد العجز على الصدر[٢]، فالشاعر في هذا البيت يقول عن ممدوحه أن محامده وأفعاله الطيبة كثرت وشاعت بين الناس فطاب لذلك ذكره وأصبحت هذه الأفعال الحميدة تزين مكانه العالي وأصبح بذلك طيباً ابن طيب، فجاء الشاعر بالشطر الثاني بألفاظ تحمل وتشرح ألفاظ الشطر الأول ليؤكد طيب ممدوحه وأعماله.

وهكذا فإننا نجد التهامي مخبراً صادقاً عن زمنه، فهو ضمير عصره وابن بيئته حقاً، فقد عاش في عصر كثر فيه البديع في الشعر والنثر فظهر هذا البديع عند التهامي وأكثر منه ووجد في معظم قصائده.

وفي نظري كباحث فإن هذا البديع لم يصل للحد الذي يجعل فيه شعر التهامي ضعيفًا، فما يزال شعر التهامي جميلاً متألقاً، ولغته سهلة وألفاظه عذبة وصوره مبتكرة.

جـ- التكرار:

يعتبر التكرار من الأساليب التعبيرية المهمة في انتاج الشعراء والأدباء، فهو يعكس حضور شخصية الأديب، وتفاعله مع ما حوله.

تعريف التكرار:

- **لغةً:** «هو مصدر كرّر إذا ردِّد وأعاد، فالكرُّ الرجوع، يقال: يكِّر كَرَّاً وكَروراً وتكْراراً. ويقال: كرَّر

---

١ – التهامي، ديوانه، ص٤٨

٢ – رد العجز على الصدر: وه وفي النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والدخر في آخرها، كقولهم: الحيلة ترك الحيلة، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني، كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع ، القزويني، الايضاح، مصدر سابق، ص٥٤٣

- الشيء تكريراً، وتَكراراً إذا أعاده مرة بعد اخرى»[١].
- **اصطلاحاً:** وهو ينبثق من المعنى اللغوي فقد عرفه أبي الأصبع بقوله: «أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد» [٢].

وعرفه ابن معصوم فقال (ت١١٢٠هـ): «هو عبارة عن تكرير كلمة باللفظ والمعنى لنكتة» [٣].

[٣].

وقد عرف عن التهامي أنه شاعر يكرر ألفاظه وجمله وصوره، فهل هذا صحيح أم لا؟، وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فهل أكثر التهامي من التكرار أم لا؟ وهل أفاد التكرار شعر التهامي أم أفسده؟ هذا ما سوف تجيب عنه الصفحات الآتية بعون الله تعالى.

سنورد هنا قصيدة كاملة للتهامي يظهر فيها التكرار واضحاً صريحاً، حيث يقول التهامي في قصيدة يمدح النبي – صلى الله عليه وسلم –:

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي المجتَبَـــى مـــا غـــرَّدت فـــي الأيْـــك ســـاجِعَةُ الرُّبـــا

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي وآلـــه مـــا اهتـــزت الأثَـــلاتُ مـــن نَفَـــسِ الصَـــبَا

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي وآلـــه مـــا لاح بـــرْقٌ فـــي الأبَـــاطِحِ أو قُبـــا

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي وآلـــه مـــا أمَّـــتْ الـــزُّوَّار طَيْبَـــةَ يَثْرِبَـــا

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي وآلـــه مـــا قـــال ذو كـــرمٍ لضـــيفٍ مرحبـــا

يـــا رب صـــلِّ علـــى النبـــي وآلـــه مـــا كوكـــبٌ فـــي الجـــوِّ قابَـــلَ كوكبـــا

بـــــالله يامُتَلَـــــذِّذِيْنَ بـــــذكره صـــلوا عليـــه فمـــا أَحَـــقَّ وأوْجَبـــا

---

١ – ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة كَرَر، ج٥، ص ١٣٥.

٢– ابن جَنِّي اب والفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الشؤون الثقافية سنة ١٩٩٠ م، ج٣، ص ١٠١.

٣– ابن معصوم، علي صدر الدين المدني، انوار الربيع في اناع البديع، تحقيق شاكر هادي، مكتبة العرفان، بيروت، ط١، ج٥، ص ٣٤٥.

صـــلوا علـــى المختـــار فهـــو شـــفيعكم ... فـــي يـــومٍ يُبْعَـــثُ كـــلُّ طفـــل أشْـــيَبَا

صـــلوا علـــى مـــن ظللتـــه غمامـــة ... والجـــذع حـــنَّ لـــه وأفْصَـــحَتِ الصَـــبَا

صـــلوا عليـــه وســـلموا وترحمـــوا ... وَرِدُوا بِـــهِ حـــوض الكرامـــةِ مَشْـــرِبَا

صـــلوا علـــى مـــن تـــدخلون بجاهـــه ... دار الســـلامة تبلغـــون المطلبـــا

صـــلى وســـلم ذ والجـــلال عليـــه مـــا ... مـــن نـــور طلعتـــه يَشُـــقُّ الغَيْهَبَـــا

صـــلى وســـلم ذ والجـــلال عليـــك مـــا ... أزكـــاك فـــي الرُّســـل الكـــرام وأطيبـــا[1]

ففي هذه القصيدة نجد التهامي قد كرر جملة – يارب صلِّ على النبي– ست مرات، واصفاً في الجملة الأولى وصفاً للنبي – صلى الله عليه وسلم– هو المجتَبَى، وفي الجمل الخمس الباقية يضع كلمة وآله بدل المجتبى مكرراً إياها خمس مرات.

وتكرير النداء والدعاء في هذه العبارة يتضح فيه التنبيه على قدر النبي –عليه السلام – وإجلاله، ويكرر التهامي – ما – الظرفية ست مرات أيضاً في الشطر الثاني من الأبيات الستة الأولى ومرة في البيت الثاني عشر:

- **ما دامت الطيور تغرد على الغصون.**
- **ما دامت الأوراق والفروع تهتز من نسيم الصباح.**
- **ما دام البرق يلوح في البطحاء.**
- **ما دام الزوار يزورون المدينة المنورة.**
- **ما دام الكريم يرحب بضيوفه وزواره.**
- **ما دام النور ينبثق من طلعته الشريفة.**

ويلاحظ أن – ما– الظرفية والتي تفيد دوام الحركة والاستمرار، دلت كذلك على فائدة بلاغية أخرى ألا وهي التكرار ليفيد بدوره على تخصيص المدح وتكثيفه للنبي صلى الله عليه وسلم..

---

١ – الربيع، محمد عبدالرحمن، ديوان التهامي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ١٩٨٢م، ص(٩٤–٩٥).

ويكرر التهامي الفعل الماضي – صلَّى– وفعل الامر صلوا على، صلوا عليه، صلِّ، وفي هذا التكرار وتعداده ثلاث عشرة مرة ما فيه من تخصيص النبي عليه السلام بالمدح.

ويكرر التهامي كلمة – وآله– خمس مرات في الأبيات من الثاني وحتى السادس، وفي هذا

الأمر تنبيه على خصوصية أهل بيت النبي – عليه السلام – وشمولهم بالمدح، ثم يعدد الشاعر مجموعة من خصائص النبي – عليه السلام –:

- **البيت السابع:** – الصلاة عليه عبادة – متلذذين بذكره –
- **البيت الثامن:** – هو المجتبى والمصطفى والمختار على خلق الله تعالى
  – هو الشفيع للخلائق يوم البعث والنشور.
- **البيت التاسع:** – هو من ظللته الغمامة.
  – جذع النخلة حنَّ له ونشج حين تركه وصعد المنبر.
- **البيت العاشر:** – هو صاحب الكرامة يوم القيامة وصاحب الحوض –الكوثر–.
- **البيت الحادي عشر:** – هو صاحب الشفاعة لدخول أهل الجنة الجنة.
- **البيت الثاني عشر:** – هو صاحب الوجه الأزهر –المتلألأ–.
- **البيت الثالث عشر:** – هو أزكى الرسل الكرام وأطيبهم.

وفي هذا الذكر والتعداد لخصائص النبي – صلى الله عليه وسلم– تكرار لشرف النبي وفضيلته، وتنبيه على قدر النبي وفضله، وفيه مدح وتعظيم، وفيه تلذذ واستمتاع بذكر هذه الكرامات التي أُخْتُصَ بها النبي عليه الصلاة والسلام.

ويقول الشاعر في قصيدة معونة بـ – فتى يقع المدح من دونه–

صريحُ المقالِ صريحُ الفعالِ صريحُ النَّوالِ صريحُ النسب[١]

فيأتي الشاعر بكلمة صريح فيكررها أربع مرات في البيت الواحد فيقول أن ممدوحه صريح وواضح في القول والفعل وواضح في الكرم والعطاء وواضح النسب.

التكرار هنا لكلمة صريح أفاد معنى التأكيد لهذه الخصال الحميدة عند الممدوح وأفاد كذلك التنبيه على خصال الممدوح الحسنة والمجيدة.

وهكذا نجد أن التهامي شاعر يكرر الألفاظ والجمل والحروف في أشعاره، والتكرار ليس ضعفاً إن لم يتجاوز المقدار، والتكرار طبيعة الشعر العربي، فالقصيدة العربية تتكرر على بحر شعري واحد ولو بلغت أبياتها المئة أو الألف من الأبيات، والرويُّ يتكرر في القصيدة، والقافية تتكرر وكل بيت شعري يتكرر من نفس التفعيلات الخاصة بالبحر الشعري الذي تجري القصيدة عليه.

والشعراء العرب كرروا أغراضهم الشعرية، فمن الوقوف على الأطلال إلى التغزل بالمحبوبة ووصف الرحلة ووصف الناقة ثم الدخول إلى الغرض الأساسي من القصيدة من مدح أو فخر...الخ.

فالتكرار على العموم –الزائد عن الحد– يقلل من قيمة شعر الشاعر، ويحد من الابتكار والإبداع، إلا أن التكرار عند التهامي في نظري لم يفسد شعره وضاع بين أمرين كثرة شعر التهامي، وجودة شعره وتنوع صوره وعذوبة ألفاظه.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٥).

المحور الثاني: الألفاظ الشعرية:

اللغة هي الأداة التي تبرز من خلالها عناصر الأدب كلها من عاطفة وأفكار، وصورة وإيقاع وخيال، وحتى اللغة نفسها تظهر في العمل الأدبي.

فنحن نستطيع أن نحكم على لغة أديب معين من خلال نص أدبي يكتبه، فنقول عن لغته مثلاً هي لغة راقية أو عالية، أو لغة هادئة أو مترددة حائرة، أو قوية أو مهتزة، فكل هذه الأوصاف وغيرها نستطيع استخلاصها من العمل الأدبي نفسه.

ولا بد للأديب حتى تكون لغته الأدبية مقبولة أن يحرص على أمور كسلامة اللغة بحيث لا يخرج عن قواعد اللغة التي يكتب بها، وأن يحرص على التناسب، فمقام المدح ليس كمقام الرثاء[١].

فاللغة الشعرية تعتمد على التكثيف، فالشاعر عندما يقوم بإنشاء النص الشعري فإنه يستثمر الطاقات اللغوية في حدها الأقصى وفضائها الأرحب، فيقوم الشاعر أولاً باختيار مفردات اللغة لتنتظم بعضها البعض حسب تركيب معين في سياق معين وكل ذلك من أجل تحقيق هدف خاص عند الشاعر وذلك كله يتم عبر عملية ذهنية وفكرية معقدة وذلك لأن أهمية اللفظة لا تنبع

من كونها مجرد لفظة بل «هي تحمل في داخلها الأبعاد الفكرية والإجتماعية والنفسية لمن يقوم باختيارها»[٢].

١- ألفاظ البيئة البدوية:

إن التهامي شاعر رحالة ولد في مكة المكرمة وتوفي في القاهرة، وعاش في حاضرة الخلافة بغداد، وعاش ردحاً من الزمن في الرملة بفلسطين.

---

١ – ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، مصدر سابق، ص(١١٧-١٢٧).

١٩٦- مقبل، طارق، آليات القراءة الأسلوبية للخطاب الشعري عند شوقي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م، ص١٠٦،

لذلك نجد المعجم اللغوي عنده ثراً زاخراً، فعنده أصالة ابن البادية، ورقة ابن الحاضرة، فهل انعكست هذه البيئات المختلفة على شعره.

يقول الشاعر مادحاً أبا الفتح المظفر بن عبد الجبار في قصيدة معنونة بـ –لا خلق أعظم منه–:

قــولا لـــه هـــل دار فـــي حوبائـــه أن القلـــوب تحـــوم حـــول خبائـــه[١]

هنا يتخيل الشاعر أنه يخاطب في أصحاب له فيقول لهم قولاً للممدوح: هل دار نفسه أنه محط نظر الناس وقلوبهم تهف وإليه وتحوم حول خيمته.

ويقول في البيت الرابع من القصيدة نفسها

أهــدى لنـــا فـــي النـــوم نجـــداً كُلَّـــه ببـــــدوره وغصـــــونه وظِبَائِـــــهِ[٢]

وهنا يأتي الشاعر بكلمة الظباء وهي لفظة بدوية ليكني بها عن جمال حسناوات نجد.

ويقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ –فتى يقع المدح من دونه–

وميثـــــــاء خـــــــيَّم وسْـــــــمِيُّهَا وألقـــى علـــى كـــل أفْـــقٍ طَنَـــبْ

ولمـــــا بـــــدا نبْتُهَـــــا بارضـــــاً شَـــــكِيراً تـــــراه كمثْـــــلِ الزَّغَـــــبْ[٣]

فهنا يأتي الشاعر بمجموعة من الألفاظ البدوية، تدل على مدى معرفته بأرض البادية وطبيعتها.

---

١ –التهامي ، ديوانه، ص(١٥)

٢ – المصدر السابق ، ص(١٦).

٣ – المصدر السابق ، ص٣٠

فيأتي بلفظة ميثاء وهي الأرض اللينة من غير رمل، ولفظة الوسمي وهو مطر الربيع الأول وسمي كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ولفظة طنب وهو الحبل الطويل يشد به سرداق البيت.

وفي البيت الثاني يأتي بلفظة بأرض وهو أول ما يطلع من النبات على الأرض ولم تظهر أنواعه بعد.

ولفظة شكير وهو ما ينبت في اصول الشجر الكبار أو صغار النبت ولفظة الزغب وهو أول ما يبد ومن الشعر أو الريش.

ويقول في قصيدة معنونة بـ –قصره عرفات العَرْف– يمدح بها الأمير نصر الدولة أبا نصر بن مروان بميافارقين:

إليـــك نظّمـــت أجْـــوازَ الفَـــلاةَ علـــى حزقـــاء تهـــوي هـــوِّيَ الجَـــارِحِ القَـــرِمْ[1]

فيقول مخاطباً الممدوح: أنا اجتزت إليك الصحراء مسرعاً على ناقةٍ حزقاء سريعة تسير وكأنها طير جارح تائق إلى الصيد واللحم.

فالشاعر هنا يستخدم جملة من الألفاظ البدوية كالفلاة وأجواز وحزقاء والجارح، ويقول:

كـــأنَّ البِيْـــدَ مـــن داحِـــي مناسِـــمِهَا مصـــاحفُ كُتِبَـــت أعشـــارها بِـــدَمْ[2]

ويتابع الشاعر وصف ناقته مستخدماً ألفاظاً بدوية، كلفظة البيد جمع بيداء وهي الفلاة، والمناسم وهي جمع منسم وهو للبعير كالأصبع للإنسان.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص٣٤٤

٢ – المصدر السابق ، ص٣٤٤

٢- ألفاظ البيئة الحضرية:

التهامي شاعر ذو ثقافة واسعة لم تنحصر ألفاظه في المعجم البدوي من الألفاظ، بل تشعبت وتنوعت ألفاظه، فقد واكب عصره ولم يقف في محطة واحدة.

لذلك فإن من السهل علينا أن نجد في شعر التهامي ألفاظ الحاضرة.

فيقول في قصيدة معنونة بـ: - ملك بشره يبشر- يمدح بها الشريف عبدالله بن محمد بن الحسين النصيبي:

وأراد الخَيَـــالُ لَثْمِـــي فصَـــيَّرْ تُ لثـــامي دون المَراشِـــفِ ســـتْرًا[١]

فالشاعر هنا يتخيل محبوبته وقد جاءت لتقبيله فجعل لثامه سترًا بين فمه وشفاه المحبوبة.

كلمة ستر وجمعها أستار من ألفاظ الحضارة، التي عرفت بعد انشاء الدور والقصور ووضع الستائر على النوافذ والجدران.

ويقول:

فاصـــرفي الكـــأس مـــن رضَـــابِكِ عنِّـــي حـــــاشَ لله أن أَرْشُـــــفَ خَمْـــــرًا[٢]

كذلك يأتي الشاعر بلفظة الكأس وجمعها كؤوس وهي لفظة حضرية.

ويقول في نفس القصيدة:

كلمـــا مـــرت الرِّكـــابُ بـــأرضٍ كتبـــتْ أسْـــطراً مـــن الـــدَّم حُمْـــرًا[٣]١

فالشاعر يأتي بلفظة الكتابة والأسطر وهما لفظتان اشتهرتا في الحاضرة أكثر من شهرتهما في

---

١ - التهامي، ديوانه، ص(١٦٨)

٢ - المصدر السابق ، ص(١٦٨

٣ - المصدر السابق ، ص ١٧٠

البادية لقلة القراءة والكتابة وكثرتهما في المدن والحواضر.

ويقول في نفس القصيدة:

فـــإذا راشَ فـــي الأنامـــل منْـــه قلمـــاً واســـتمدَّ ســـاءَ وضـــرَّاً[1]

فالشاعر يصف ممدوحه فيقول إذا صنع أقلاماً وجعلها كالريش بالنسبة للسهم، واستمد من الدواة مداداً لأقلامه فإنه ينفع ويضر.

فالألفاظ القلم واستمد التي تدل على الدواة أو المحبرة ألفاظ حضرية لشهرتهما في الحاضرة أكثر من البادية.

ويقول في نفس القصيدة:

ترتقي الدِّسْتَ والمنابرَ والخيلَ فتختالُ كلُّها بك كِبْرَا[2]

والدست صدر المجلس والمقصود به الرئاسة وهي كلمة دخيلة على العربية استخدمت في العصر العباسي.

ويقول التهامي في قصيدة معنونة بـ –فيه المنى والمنايا– مادحاً أبا عمر محمد بن الحسين البابلي بدمشق:

وللمجَّـــرَّة فـــوق الأفْـــقِ مُعْتَـــرِضٌ كأنهـــا حَبَـــبٌ يطفـــو علـــى نهـــر[3]

فالشاعر يصف ليلة مستخدماً لفظة حضرية ومصطلحاً فلكياً وهو المجرة، فالنجوم طافية على سطح السماء كما تطف وحبب على سطح نهر.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص١٧٤

٢ – المصدر السابق ، ص١٧٥

٣ – المصدر السابق ، ص ١٨٠

ويقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ –هل يغشى بأنواره البدر– وهي في المديح:

وإن سَـــحَبَ القِرْطَـــاسَ مـــن وَقْعِهَـــا بـــه تجلَّـــت وجـــوهُ الخَطْـــبِ والخُطَـــبُ الغُـــرُّ[١]

فالشاعر يأتي بلفظة القرطاس وهو الورق أو الصحيفة، فيقول: إذا كتب عليها ذهب الخطب والروع وجاءت الخُطبُ البليغة، فالممدوح كاشف لهموم الناس وآلامهم، وهو سخي ومنطقه فصيح، ولفظة القرطاس لفظة حضرية.

ويقول في قصيدة معنونة بـ –تخر له الأملاك– يمدح بها حسان ابن مفرج:

كأنـــك مغنـــاطيسُ كـــلُ فضـــيلةٍ فـــلا فضـــلَ إلا وهـــو نحـــوَكَ سَـــائرُ[٢]

فلفظة مغناطيس من ألفاظ الحضارة، فالشاعر يشبه ممدوحه بالمغناطيس الذي يشد نحوه المعادن، فيقول: أيها الممدوح أنت مغناطيس تشد نحوك كل الفضائل.

وهكذا نرى أن معجم ألفاظ الحضارة حاضر وبقوة عند التهامي، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على ثقافة واسعة، واطلاع عميق ومواكبة للعصر، فلا تحجر ولا جمود.

٣- الألفاظ الدينية:

اشتهر التهامي بتدينه، فلا غرو إن وجدنا في شعره ألفاظاً دينية ومعاني اسلامية، فيقول التهامي في قصيدة معنونة بـ –لا خلقَ أعظم منه– يمدح بها أبا الفتح المظفر بن عبد الجبار:

لله عـــــزمٌ مـــــن وراء تُهامـــــةٍ نـــــادت فَثُـــــرْتَ ملبيَّـــــاً لندائـــــه[٣]

فالشاعر يقول مخاطباً ممدوحه: لو نادى رجلٌ من أرض تهامة لاستفزك هذا النداء

---

١ – التهامي، ديوانه، ص ١٩٧

٢ – المصدر السابق ، ص ٢٦٦

٣ – المصدر السابق ، ص ١٨

وأسرعت لتلبية ندائه، مستخدماً لفظ الجلالة «الله» ليؤكد على سرعة نداء الممدوح لمن يناديه.

ويقول في قصيدة معنونة – فتى يقع المدح من دونه– يمدح بها أبا يحيى محمد بن حيدر بطرابلس:

ولـــولا التقـــى لبـــرَّدْتُ الغليـــل بمـــاء الرِضَـــاب ومـــاء الشَـــنَبْ[١]

فالشاعر يأتي بلفظة دينية –التقى– أي التقوى، فيقول: لولا التقوى لله تعالى لتواصلت مع الحبيب وشفيت الغليل.

ويقول الشاعر في نفس القصيدة:

تَخَطَّـــاهُ واسترضَـــعَ المُعْصِـــرَاتش لـــه مـــن غَـــوادي الـــوَلِّيِّ الهُـــدُب[٢]

فالشاعر يصف النبات أنه يشرب الماء النازل من المعصرات وهي الغيوم المثقلة بالماء، وكذلك شرب من الغوادي وهي الغيوم التي تنشأ غدوة مكونة الولي وهو المطر الآتي بعد الوسمي مستخدماُ لفظة المعصرات وهي لفظة قرآنية، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾[٣].

ويقول الشاعر من القصيدة نفسها

ويســـــعدنا باعْتِمَـــــار الـــــوزير كمـــــا أســـــعد الله جَـــــدَّ الأَدَبْ[٤]

فالشاعر يقول لعلنا نفرح بزيارة الوزير كما يفرح المعتمر بزيارة بيت الله الحرام، أو كما يسعد الأديب بأدبه.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص ٢٨

٢ – المصدر السابق ، ص ٣٠

٣ – سورة النبأ آية١٤٠

٤ – المصدر السابق ، ص ٣٤

فلفظة الاعتمار أصلها الزيارة وأصبحت تدل على العمرة وهي زيارة البيت الحرام والطواف حول الكعبة المشرفة والقيام بباقي الأعمال من ذكر ودعاء.

ويقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ –عوداً وبدءاً– يمدح بها أبا العلاء المطهر بن عطاء:

الحِلْمُ أولى بمنْ شابتْ ذوائبُهُ والحمد أحْرَى بمن دامتْ تجاربُهُ[١]

في هذا البيت حكمة، فالشاعر يقول أن من شابت منه الذوائب –وهي النواصي أي شعر مقدمة الرأس في الإنسان– أولى به الرصانة والحصافة لا الجهل والسخافة، والأولى له الحمد والشكر إذا كثرت تجاربه وفوائده، ولفظة –الحمد– لفظة دينية وتعني شكر الله عند النعمة والألم.

ويقول في نفس القصيدة مادحاً لدرجة المبالغة الشديدة:

يا كاتباً جرت الأقدار حين جَرَتْ أقلامُه في الورى شاعتْ مناقبُه[٢]

فالشاعر يقول أن الأقدار تجري إذا جرت أقلام الممدوح بالعطايا والهبات أو بغيرها من الأوامر، مستخدماً كلمة الأقدار وهي جمع قَدَر وهو ما يصرفه الله تعالى من الأمور والأحداث، يقول الله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[٣].

وهكذا يمضي الشاعر في ايراد الألفاظ الدينية، مظهراً قدرته على توظيف هذه الالفاظ في الأغراض الشعرية التي يتحدث بها والتي غالباً ما تكون في غرض المديح أو الحكمة.

كذلك نعرف من الكم الكثير لهذه الألفاظ الدينية، مدى التزام الشاعر وتدينه وعلاقته بالقرآن الكريم والسنة الشريفة.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص ٤١

٢ – المصدر السابق ، ص ٤٣

٣ – سورة الأحزاب آية ٣٨

٤- الألفاظ الطبيعة:

يقول الشاعر في قصيدة معنونة بـ -كنز الفقير ونجعة المتأدب- يمدح بها الرئيس أبا عبدالله جعفر بن محمد المغربي:

إنّ الحَمُــول غــداة غربــة غــرِبٍ ولّــت بأحســن ســافرٍ ومُنَقَّــبِ[١]

فالشاعر يقول أن الحمول وهي الهوادج أو النوق التي تحمل عيها الهوادج سافرت بأحسن من عرفت، بسافر الوجه مكشوفة وبالمنقب والمغطي لوجهه.

فالحمول هنا والتي كنى بها الشاعر عن النوق والجمال وهي وسيلة السفر المعتادة والاكثر شيوعاً في زمنه تعتبر لفظة من ألفاظ الطبيعة.

ويقول:

فَخَلَسْــتُ منهــا لحظــةً فكــأنني أبصــرت لُمْعَــةَ كوكــبٍ مُتَصَــوِّبِ[٢]

وهنا الشاعر يأتي بلفظة من ألفاظ الطبيعة وهي الكوكب ليصف بها عين المحبوبة التي خالسها النظر ساعة الرحيل.

ويقول:

وَلَحَظْنَنِــي فكأنمــا انفجــرت لنــا تلــك البراقــع عــن جــآذرَ رَبْــرَبِ[٣]

فالشاعر يقول نظرت إلى تلثم النساء الراحلات سافرات ومنقبات وعند التقاء عيني بعيونهن أفصحت تلك العيون عن جآذر وهي أولاد البقر الوحشي، وهذه الجآذر كأنها ربرب أي قطيع بقر وحشي.

---

١ - التهامي، ديوانه، ص ٤٤

٢ - المصدر السابق ، ص ٤٤

٣ - المصدر السابق ، ص ٤٤

ويقول:

ونثَـرْنَ مــن صَـدَفْ العيــون دُرَّيْـنِ بـــــين مُضَـــــرَّسٍ وَمُحَبَّـــــبِ[١]

فالشاعر يقول أن تلكم الأوانس والنساء الجميلات ما إن نظرت إلي حتى نثرن من صدف الجفون درا وهذا الدر محزز ومنضد فالصدف وهو غلاف اللؤلؤ والدر ألفاظ من الطبيعة.

ويقول:

دانَـــيْن غُـــزلان الصَّـــرِيمة فـــالتقى فـــي الـــروض غيـــر مُرَبْـــرَبٍ بمُرَبْـــرَبِ[٢]

فهذا البيت الشعري مشحون بألفاظ من الطبيعة فالغزلان والصريمة وهي القطعة من الرمل، والروض والمربرب وهو الذي يمشي في قطيع وغير مربرب وهو الذي يمشي منفرداً.

وقد جاء الشاعر بكل هذه الالفاظ ليقول لنا أن النساء الجميلات المترحلات ظهرن كغزلان الصريمة والصحراء، وحالهن حال تلك الغزلان فمنهن من يمشي في قطيع ومنهن من يمشي منفرداً.

ويقول:

وإذا ارتقـــينَ إلـــى عـــوارضَ تَلْعَـــةٍ بَسَـــمَتْ ببـــدْرٍ مـــن أقـــاحٍ أشْـــنَبِ

وَلَـــثَمْنَ نُـــوَّارَ الأقـــاحي غُـــدْوةً بألـــذَّ فـــي الأفـــواهِ منـــه وأَعْـــذَبِ[٣]

ويستمر الشاعر في وصف النساء الجميلات وحالهن فيقول وإذا ما صعدن في سيرهن إلى

---

١ – التهامي، ديوانه، ص ٤٥

٢ – المصدر السابق ، ص ٤٥

٣ – المصدر السابق ، ص ٤٥

عارض وجانب شيء كتلعة وتلة عالية تبسمن ببسمات تظهر فيها أسنانهن بيضاء كزهر الأقاحي.

وليس هذا فحسب بل قبلن أزهار الأقاحي في صباح جميل غدوة طيبة، فكان هذا اللثم والتقبيل أجمل وأطيب من طعم الأقاحي.

فهنا نجد ألفاظ الطبيعة تتعانق وتتشابك مكونة لنا صورة في غاية الجمال، فالعارض والتلعة والأقاحي البيضاء الحسنة ونوار الأقاحي في الغدوة، كلها ألفاظ من عمق الطبيعة يستخدمها الشاعر مسقطاً كل هذه الألفاظ وما توحي به من دلالات وإيحاءات على النساء الجميلات المرتحلات.

ويقول في نفس القصيدة:

والطَّـــلُ يجـــري بكـــل مقلـــةِ نَـــرْجِسٍ مـــن فـــوق خـــدِّ شـــقائِقٍ لـــكَ مُعْجَـــبِ[١]

فالطل وهو الندى يجري في عيون النرجس دموعاً تتساقط على خدود شقائق النعمان ذ والنور الأحمر.

وهكذا يمضي التهامي في أوصافه للنساء وتشبيهاته مستخدماً معجمه اللغوي الثري الغزير من ألفاظ الطبيعة موظفاً هذه الالفاظ أحسن توظيف وألطفه.

ويقول:

أبصـــرتُ ملعبَهَـــا القـــديمَ فـــدلَّني نَشْـــرُ العبيـــرِ الـــوَرْدِ نحـــو الملعـــب[٢]

وهنا يقول التهامي أنه نظر باحثاً عن مرابع صبا المحبوبة فما دله عليه إلا رائحة عطرها المشابه لرائحة الورد.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص ٤٥

٢ – المصدر السابق ، ص ٤٦

فالملعب القديم والنشر وهو الريح الطيبة والعبير وهو أنواع من الطيب والورد ، كل هذه الألفاظ يخلطها التهامي ليخرج لنا منها صورة من أجمل الصور.

ومن هذه الأمثلة نجد بشكل واضح مقدار ما يملك التهامي من ألفاظ على مختلف أنواعها ومنها ألفاظ الطبيعة.

فكل هذا الحشد الجميل المونق اللطيف من ألفاظ الطبيعة مأخوذ من تسعة أبيات فقط من القصيدة آنفة الذكر، مما يدل دلالة واضحة على موسوعية التهامي، وثقافته العريضة الممتدة ما بين حاضرة وبادية.

المحور الثالث: التراكيب وأنواعها:

أ) الأساليب الإنشائية:

فالإنشاء يقسم إلى قسمين هما:

ب) **انشاء طلبي:** وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وأنواعه: التمني، والاستفهام، والنداء، والنهي ولأمر.وانشاء غير طلبي: وهو ما استدعى مطلوباً، وله اشكال متنوعة منها، اساليب المدح والذم، واساليب القسم، واساليب العقود، وصيغ التعجب، وأساليب الرجاء[١] وسنتحدث في هذه الفصل عنن أبرز أساليب الانشاء الطلبي وهي النداء، والاستفهام والأمر.

١- **النداء:** في الأصل هو عوة أحد بذكر اسمه أو صفة من صفاته بعد حرف نأئب مناب أدعو[٢] أدعو[٢] وهو اسلوب استهلالي طلبي، يجمل النص الشعري، واذا جاء في البدايات سواء كان ذلك في بداية القصيدة أو بدايات بعض الابيات الشعرية من القصيدة فإنه يضفي على القصيدة مرونة وحيوية وجمال[٣] كما أن له وظيفة في بنائيه للشعر وصياغته أو الإنتقال من موضوع إلى موضوع موضوع آخر دون احداث خلل أو كسر في بناء القصيدة[٤] وقد اكثر التهامي من اسلوب النداء في في شعره.

كما نوع في أدواته ومن ذلك قوله من قصيدة – ملك يروقك منظراً – في معرض العتاب لمن يلوم ممدوحه على كرمه:

يا مَنْ يُفَنِّدُهُ على صِلَةِ الندى أتلومُ في صِلَةِ الخليل خَليلا[٥]

فالشاعر هنا يأتي باداة نداء للبعيد وهي – يا – يخاطب بها من يلوم الممدوح على جوده، وكثرة عطائه وكأنه يقول له: يا فلان لا تتعب نفسك فهذا الممدوح لن يسمعك ولن يلقي للومك بالاً، فأنت في واد وهو في واد، فهذا العطاء يرى كل الناس أصحاباً وخلاناً له، وإكرامهم واجب عليه.

---

١ – انظر: أمين، بكري الشيخ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملاين، بيروت،ط٣، سنة ١٩٩٠م، ص(٧٥ وما بعدها)

٢– انظر: الجارم، علي، البلاغة الواضحة ص(٢١٠)

٣ – انظر: الجيوري، سامي شهاب أحمد، شعر ابن الجوزي دراسة اسلوبيه، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، سنة ٢٠١١م، ص(٨٢)

٤ – انظر: الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الاسلوب في الشوقيات،منشورات الجامعة التونسية،تونس،سنة ١٩٨٠ ، ص(٣٦٧)

٥ – التهامي، مصدر سابق، ص(٢٩٩)

ثم يخاطب الممدوح نفسه في نفس القصيدة قائلاً:

يا ابنَ الذينَ اعتراهُمْ طارقٌ تَرَكَ وبيوتُ المالِ منه طُلولا[١]

فهو يقول له: أنت من قوم وَرَّثُوا الكرم لأبنائهم، فهم إذا نزل بهم نازل وزارهم زائر، تركو– الجمل بما حمل – وأفرغوا الديار ووفرقوا المال لهذا الطارق الغريب كائناً من كان.

ويقول من قصيدة – هو الربيع – مادحاً:

يا أيها الأستاذ لا من غفلةٍ والله قد يُدعى وليس بغافلِ[٢]

فالشاعر هنا يأتي بأداتي نداء هما – يا – و– أي – الاولى للبعيد والثانية للقريب فيمزج بينهما، وكأنه يقول له: أيها القريب وحتى في بعدك تظل القريب جد علي فأنا أناديك ليس من غفلةٍ فيك ولكني أناديك أحثك على نحر مالك وبسط نوالك.

٢–الاستفهام:

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، أي طلب تفسير واستيضاح أمر وهو يأتي للاستفهام وقد يخرج للتعجب أو للاستنكار أو النفي[٣]

ومن أمثلة الاستفهام في شعر التهامي قوله من قصيدة معنونة ب – صغيراً تربيه المعالي – وهي من قصائده في سجنه في دار البنود بمصر:

هَبُوا أنَّ سجني مانعٌ لِوِصَاله فما الخطْب أيضاً في امتناع خيالِهِ[٤]

فالشاعر يقول: افرضوا أن الحبيب قد صار قربه مني صعباً بدخولي السجن، فما الذي يمنع –متسائلاً متعجباً– خيال الحبيب أن يتواصل معي في فكري أو منامي.

١– التهامي، ديوانه، ص(٣٠٣)

٢ – المصدر السابق، ص(٣٠٦)

٣– انظر: الجارم، علي، ص(٢٠٥– ١٩٢).

٤ – التهامي، ديوانه، ص(٣١١).

ويقول من القصيدة نفسها:

أتستغرب العلياءُ أحمدَ ناشئاً وقد بان منه الفضلُ قبل فصالِهِ[١]

فالشاعر مر هنا يسأل مستغرباً مستنكراً فيقول: لم تستغرب العلياء عل والممدوح بعد أن اشتد عوده وقام على سوقه، وقد ظهر فضله، وعلو كعبه في صغره وطفولته قبل اكتماله ونضوجه.

١ – التهامي، ديوانه،ص(٣١٣).

الفصل الرابع

جماليات الصورة الفنية

المحور الأول: أدوات الصورة وأقسامها:

أ- الإستعارة

ب- التشبيه

ت- الكناية

المحور الثاني: أنماط الصورة الفنية

المحور الثالث: مصادر الصورة الفنية

المحور الرابع: وظائف الصورة الفنية

الفصل الرابع:

جماليات الصورة الفنية:

الصورة من أهم عناصر العمل الأدبي، وذلك لأن صفة الأدب التي يصبح من خلالها وبواسطتها الكلام أدبًا جميلًا يهز النفس ويستفز المشاعر ويطرب القلب تعتمد أصلًا على الصورة، وكلما تميزت الصورة – إبداعًا وابتكارًا وخيالاً– كان الكلام أكثر أدباً[١].

وعند دراسة الصورة الأدبية لابد لنا أن نعرج على الخيال، فالصورة ربيبة الخيال وصنيعته، فالخيال يعتبر القوة النفسية والذهنية المالكة للأدوات اللازمة لأجمل وأبدع الصور الأدبية.

ومن البديهي القول: « أن الشعر العربي يقوم على الخيال والصورة، فالخيال يمد الشاعر بقوة تصور، وهذه القوة لها القدرة على إعطائنا صور ذهنية يمكن تجسيدها بالكلمات»[٢].

«والشعراء العظام هم الذين يجسدون خيالهم قنطرة يعبرون عبرها إلى خارج حدود الزمان والمكان، ليصلوا بعد ذلك إلى عوالم علوية وأكوان فسيحة رحبة لا يستطيع الإنسان العادي المحدود في فكره وخياله أن يصل إليها عادة»[٣].

ولا بد لنا حتى نصبح أكثر قرباً من الخيال والصورة من تحرير هذين المصطلحين لذلك لا بد من العودة إلى معاجم اللغة العربية وقواميسها نستجلي بها معاني هذه الكلمات.

---

١ – انظر :الرباعي، عبد القادر،الصورة الفنية في النقد الشعري، عمان، الأردن، ط١، ص(١٥–٢٠).

٢ – انظر: حسن، حامد: الشعرية بنية وتشريحآ، مؤسسة الوحدة، دمشق سنة ١٩٨٧م، ص (٥٤).

٣ الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، مصدر سابق، ص١٥-٢٠.

فأما المادة اللغوية لـ: (خيل): فإنها «تدل على الظن، والهيئة، والظل، والشكل، والطيف»[١].

والمتلقي سيجد في الأدب عمومًا وفي الشعر خصوصًا ملامح الخيال واضحة جلية، والتهامي من الشعراء الذين عرفوا بخصوبة خيالهم، وروعة ابتكاراتهم وتجديد معانيهم، وممن إستخدموا الخيال استخدامات شتى، وكل ذلك يبدأ من الصورة الأدبية وأنواعها وأشكالها.

الصورة لغة: «شكل، أو هيئة، أو صفة»[٢].

والصورة ميل وانحراف عن الواقع وهنا دخلت الصورة في باب الفن.

والصورة قد تكون معنوية كلون الروض وشم الورد، وقد تكون مادية حسية، والشعر موجود فيه

الصورتان المعنوية والحسية والصورة المعنوية بالشعر أنسب وأليق، والنثر موجود فيه كذلك الصورتان ولكن الصورة الحسية في النثر أنسب وأحسن وأليق منها في غيره.

«والشعر باعتماده التصوير، يلون صوره بأنواع المحسوسات، فيغد والشعر صوراً بصرية وسمعية، ولمسية، وذوقية، وشمية، وهو ينفر من المجردات، ويرتاح على التشبيه، والإستعارة، والتمثيل والكناية، وسائر ضروب المجاز، وهو يميل إلى الحركة والحيوية والتنويع»[٣].

والآن حان الوقت لدراسة الصورة الأدبية في شعر التهامي بدراسة أدواتها من إستعارة وتشبيه وكناية، والتعريج بعد ذلك على أنماط الصورة ومصادرها ووظائفها،والتعرف على جماليات

---

١ – ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ، مادة (خيل).

٢ – المرجع السابق، مادة(صور).

٣ – يموت، غازي، الفن الأدبي اجناسه وأنواعه، بيروت، سنة ١٩٨٩م ، ص (٧٠).

الصورة عند التهامي،فهو من الشعراء الذين اكثروا في شعرهم من الصور.

جماليات الصورة الفنية عند التهامي:

المحور الأول: أدوات الصورة وأقسامها:

أ- الإستعارة :

لغة: «من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى شخص، وفيها معنى الرفع والتحويل»[١].

اصطلاحًا: «نقل اللفظ من معناه الذي عرف به، ووضع له،إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل»[٢].«»

والاستعارة لها أركان هي: «المستعار والمستعار له والمستعار منه ولها قرينة لفظية كانت أو معنوية، ملفوظاً بها،أم كانت مدركة من السياق، ولا بد من جامع، وهو الجهة التي يشترك فيها المستعار منه والمستعار له»[٣].

قيمة الاستعارة:

وللاستعارة قيمة عظيمة فهي تعد من أدق أساليب البيان، وأرقها تأثيراً، وأجملها تصويراً، وأكملها تأدية للمعنى[٤].

ومن قصيدة معنونة بـ: –لا خلق أعظم منه – يمدح بها أبا الفتح المظفر

يقول التهامي:

---

١ – يموت، الفن الأدبي اجناسه وأنواعه، مصدر سابق، ص (٧٠).

٢ – المرجع السابق، ص(١٦٣).

٣ – المرجع السابق، ص(١٦٦).

٤ – عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع ، ط١٠ ، سنة ٢٠٠٥م ، الفرقان للنشر ص(١٦٣).

حتى إذاحط الصباح لثامه ومضى الظلام يجر فضل ردائه[١]

هنا الشاعر يصف ممدوحه فيأتي بالاستعارة بما تضفيه على الصورة الشعرية من شفافية وانسياب،

فيقول بأن الممدوح جميل الوجه متلألأ كالصباح وذلك بعد أن مضى الليل جارَاً أطراف ثوبه.

فقد جعل الشاعر للصباح لثاماً وجعل للظلام رداء وثوباً، وواضح أثر الاستعارة الجميل في تجويد الصورة الشعرية بما منحته للصباح من أنسنة، فها هو الصباح يضع عن وجهه لثامه ويكشف غطاءه فيسفر عن وجه جميل ضاحك مشرق.

وها هو الليل كذلك بالأنسنة التي اسقطت عليه، يمضي رويداً رويداً، متسللاً جاراً خلفه فضل ثوبه.

فالشاعر مستخدماً الاستعارة أضفى على مظاهر الطبيعة ملامح البشرية والإنسانية، مستفيداً إلى الدرجة القصوى من الفوائد التي تمنحها الأنسنة من تجسيد ومماثلة ودقة وصف وسعة خيال.

ويقول الشاعر من القصيدة نفسها

إنْ حَلَّ حَلَّ الجودُ في أَفْنائِهِ أو سَارَ سَارَ النَّصْرُ تحتَ لوائِهِ[٢]

وهنا أيضًا يصف الشاعر ممدوحه بالجود والظفر، فيأتي بالاستعارة، ليجعل بها الجود ينزل حيث ينزل الممدوح، ويجعل النصر يسير حين يسير الممدوح.

فلنتخيل معاً ل وأن الشاعر مدح ممدوحه فقال إنه كريم وأنه مظفر منصور،قد يوصل الشاعر بذلك للمتلقي بأن أبا الفتح كريم منصور.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(١٦).

٢ – المصدر السابق، ص(٢٢)

ولكن الشاعر حين يستنجد بالاستعارة فيجعل الجود والكرم ينزل إذا نزل الممدوح ويقف إذا وقف ويجعل الظفر يمشي إذا مشى الممدوح، فإننا بذلك نفهم وعبر صورة شعرية أدبية راقية أن هذا الرجل ليس مجرد رجل كريم ومنصور، فهو أكثر من ذلك فالكرم والنصر مرافقان له كعض ومن أعضائه أو في نفس من أنفاسه.

ويقول من القصيدة نفسها يملك جيشاً عرمرماً لجباً جراراً، ولكن الشاعر حين يأتي بالاستعارة فيقول بأن بأس وقوة وشدة الممدوح لها عساكر ورأي وحصافة الممدوح كذلك له عساكر، فإننا بهذه الصورة الأدبية نتخيل الممدوح متبوعاً بجيوش ثلاثة جرارة، جيش عسكره، وجيش بأسه وجيش رأيه، وما كنا لنتحصل على هذه الصورة الثرية لولا الاستعارة للبأس والرأي.

ويقول التهامي في القصيدة نفسها:

سَلَبَتْ خلائِقُهُ الرياضَ أريْجَهَا والماءَ طِيْبَ مذاقِهِ وصفائِهِ[١]

وأيضاً هنا يأتي الشاعر مستعيناً بالاستعارة يأتي بلغة مكثفة ليعبر عن مدى صفاء وحسن أخلاق الممدوح، فيجعل من أخلاقه انساناً له القدرة على الأخذ والسلب فيقول أن أخلاقه سرقت الطيب والعطر من البساتين والمروج وكذلك سرقت من الماء صفائه وشفافيته.

وهكذا نجد مرة أخرى الشاعر بدل أن يقول عن ممدوحه إنه صاحب خلق حسن،أو صاحب خلق جميل، فإنه يأتي بالاستعارة ليجعل المعنى يتوسع على محور عامودي، فيخرج بذلك السامع عن تصور لأخلاق الممدوح بصورة لا تدانيها أي صورة لمعاصريه.

ويقول من القصيدة نفسها

يَجْلُو الخطابَةَ والخطوبَ بكفِّهِ قلمٌ يُرَجَّى الرِّزْق في أثْنائِهِ[٢]

وهنا يجعل الشاعر قلم الأمير رجلًا إذا كتب بز الخطباء والمتكلمين وإذا قاتل هزم أعدائه

---

١ –التهامي، مصدر سابق، (ص٢٢)

٢ – التهامي، مصدر سابق، ص(٢٢)

وأحرز النصر المبين، وهو مع هذا وذاك كريم سخي حنون ترتجى منه العطايا والأرزاق والهبات.

وعندما أراد الشاعر أن يتحدث عن شجاعة الممدوح وجراته جاء بمعنى طريف فقد جعل الخوف والرعب والجبن بنات راقصات في جوف الفارس الكمي الشجاع من خصومه

فيقول:

لمَّا تأمَّل ما حواه كَمِيُّهَا رقَ صَتْ بناتُ الرُّعْبُ في أَحشائه[١]

وهكذا يمضي التهامي مستعينًا بالإستعارة –هذا الفن البلاغي الجميل – حاشدًا صورًا شيقة كثيرة، توصل للقارئ أو السامع المعلومة المرادة، مع خيال واسع يجعل المعلومة تتسع على محور عامودي لتعطي إنطباعًا أكثر بالترسخ والعمق.

وبسبب خصوبة فكر الشاعر التهامي فإنه لم يكتف بالاستعارة فقط وإنما لجأ للتشبيه وما يؤديه من وظيفة فنية وجمالية.

ب–التشبيه:

«التشبيه كما يدل عليه الأصل اللغوي لهذه الكلمة هو: الدلالة على مشاركة أمر لأمر وإن شئت قل: هو إلحاق أو بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما»[٢].

والتشبيه عند الجرجاني «هو تشبيه شيء بشيء ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه»[٣].

المشبه»[٣].

---

١ – التهامي، مصدر سابق، ص(٢٣).

٢ – عباس، فضل، البلاغة أفنانها وفنونها، مصدر سابق (ص١٧).

٣ – الجرجاني، محمد علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة،تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الأداب، مصر ١٩٩٧م، ص(١٥٢)

فالتشبيه محاكاة وإبداع، ووظيفته نقل الصورة الحقيقية إلى صورة خيالية تضفي على الشعر سحرًا وجمالًا ورونقًا وظلالًا، وهي تزيد المعنى وضوحًا وتأكيدًا ليزيد التأثير في النفوس والفكر في الرؤوس فتزداد بذلك المعاني جمالًا وأبهة وتكسبها عظمة ورفعة قدر، وتدعو القلوب إليها كقول التهامي من قصيدة معنونة ب – فتى يقع المدح من دونه – يمدح بها أبا يحيى محمد بن حيدر بطرابلس:

فؤادي الفداءُ لها مِنْ قُبَبٍ طوافٍ على الآلِ مثلُ الحَبَبْ[١]

فالشاعر يبدأ قصيدته بالتغزل في مجبوبته فيقول: قلبي فداء لك أيتها المحبوبة، وليخبرنا بعظم حبه لم يقل حبي لك كبير ولكنه جاء بالتشبيه مستعينًا به في إضفاء صورة جميلة على حبه.

لمحبوبته، فيخبر بأن قلبه قد اصطلى بنار الحب فاستدارت حول قلبه فقاقيع نتجت من لهيب الحب وهذه الفقاقيع كالتي تظهر حول الماء.

وهكذا فالتهامي بهذا التشبيه الذي يدخل فيه القلب حوله الفقاقيع الناتجة من نار الحب الذي صلى قلبه يدخل القارئ أو السامع في عالم النار والحريق فالماء يغلي ويبقبق كقلبه الأسير لدى المحبوبة، فهو يريد أن يقول بهذا التشبيه الرائع والجميل أن قلبه قد صار مشويًا أو مسلوقًا ولولا التشبيه لما إستطعنا الحصول على هذه الصورة الأدبية الرائعة التي تظهر عظم حبه وشوقه لوصال محبوبته.

ونذكر هنا البيت الثاني من القصيدة نفسها لتكتمل به الصورة الفنية، فهو يقول:

---

١ – التهامي، ديوانه، (ص ٢٧).

يعمْن من الآلِ في لُجَّةٍ اذا ما علا الشَّخْصُ فيها رَسَبْ[١]

فهو يقول أن هذه الفقاقيع تعل وفوق الموج العظيم واللجة الكبيرة، وتضطرب وتهتز، وتغد ووتروح مشكلة بهذا الإضطراب والغد ووالرواح مصيدة فتاكة من وقع بها هلك وإن كان أمهر السابحين، والدليل على أن الشاعر قد وقع في مصيدة الحبيبة، فلم يقدر منها على ما يشفي الصدر ويبرد الغليل، ولم يقدر على نسيانها وطي صفحة الماضي الجميل بسحره الخفي، وصفائه النقي.

وهكذا يمضي الشاعر التهامي راكبًا سفين التشبيه، مجذفًا بمجذاف الخيال المحلق، والذوق العالي، فيقول في نفس القصيدة مستخدمًا التشبيه المتعدد المركب:

أيا من ليلٍ ضعيفِ الهَرَبْ حَرُونٍ وصبحٍ بطيئِ الطَّلَب[٢]

كأنَّ على الجوِّ فَضْفَاضَةٌ مساميرُها فضةٌ أو ذهبْ[٣]

فالشاعر في معرض ذكره لمحبوبته، وما يكابده من حريق الحب، وألم الفراق، وما يكتويه من نار الشوق وشط المزار، يشبه ليلة البطيئ بدابة ضعيفة وهي فوق ذلك حرون لا تتحرك ولا تزول، ويشبه الصبح بمطارد بطيئ ضعيف الهمة، فلا الليل ينقضي ولا الصبح يطلع، والشاعر يتقلب على جمر الغضا وينام على أحر من الجمر، ويشبه الشاعر جوه كفارس يلبس درعًا متينة السبك، جيدة الحبك، ويشبه في ذات الوقت النجوم والأقمار التي تزين وجه السماء بمسامير من فضة وذهب أمسكت بتلابيب هذا الدرع وخيوطه وسلوكه، فأصمت من هذا الليل الآذان وأعمت

---

١ – التهامي، ديوانه، ص (٢٧).

٢ المصدر السابق، ص(٢٩).

٣ – المصدر السابق، ص(٢٩).

العيون، فصار هذا الليل كأسير مقيد الرجلين واليدين، فلم فلم يحر جوابًا ولم يقدر فراراً.

وهكذا توالت التشبيهات الرائعة العجيبة مدخلة المتلقي في عالم لا نهائي وغير محدود، فكأن الفرج يركب دابة ضعيفة هزلاء عجفاء تسير في طريق مظلم طويل، فيا أقدام الصبر تحملي، ويا جبال القلب تجملي.

ويستمر الشاعر التهامي مستعرضًا أمام ممدوحه عضلات خياله فيقول مجموعة من الأبيات في نفس القصيدة مصورًا ظواهر طبيعية:

وميثاء خيَّم وسميُّها والقى على كل أفق طنب[١]

فالأرض اللينة أول ما ينزل عليها من مطر يصبغ وجه الأرض بالخضار كالخيمة

المضروبة في الأرض لتستر أهلها وساكنيها، وهذا المطر يلقي على الآفاق غيومًا وسحبًا خضراء.

ويستمر في وصف لوحة الطبيعة فيقول:

ولما بدا نبْتُها بارضِاً شكيرًا تراه كمثلِ الزَّغَبْ[٢]

سقط المطر الوسمي فبدأ النبات يطل برأسه من رحم أمه الأرض، بارضًا وهو أول ما يطلع من النبات ولم تعرف أنواعه بعد ويطلع كذلك الشكير وهو ما ينبت في أصل الشجر الكبار من صغار النبات كالزغب وهو اول ما يبد ومن شعر الإنسان أو ريش الطائر.

---

١ – التهامي، ديوانه ، ص(٣٠).

٢ – المصدر السابق، ص(٣٠).

ويستمر:

تَخَطَّاه واسترضَعَ المُعصِرات له من غَوادي الوَلِّيِّ الهُدُبْ[١]

هذا النبات كالطفل العزيز للأم الرؤوم لا يسترضع الا من ثديها، فها هو شاعرنا المجيد يخرج من تشبيه ليدخل في تشبيه جديد، راسمًا بذلك لوحة ولا أجمل للطبيعة الغناء، وارفة الظلال فالطفل الصغير إذا لم تكفه أمه رضاعا، عند ذلك لابد أن تتوجه القلوب الحاضنة فتجود بما تقدر عليه، لإرضاع الطفل المدلل، فالعشب يشرب من الوسمي، فإذا جف ريق الوسمي فهل هذا العشب

المدلل من الولي وهو المطر الذي يلي ويتبع الوسمي، فشرب منه حتى الإرتواء فطالت منه الأهداب وقام على سوقه.

ويستمر في رسم اللوحة فيضرب ولكن بريشة الرسام والفنان ويلون هنا ويلون هناك، مستخرجًا صورة أدبية بديعة، وأبياتًا شعرية رفيعة تستهدف محبي الجمال وعاشقي الروعة والكمال، فإذا أناخ وبباب هاته الأشعار، أصاخو السمع، وألقوا جانبًا الروع، فيقول:

فاصبح احوى كَحَوِّ اللَّثَاتِ عليه من النَّوْرِ ثَغْرٌ شَنَبْ[٢]

وهذا النبات المدلل بعد ان عبَّ حتى ارتوى من الماء الزلال، وأطفأ صداه بالماء القراح، شب وقام وتغير منه اللون والهندام، فأصبح مسودًا كلثة الفتاة العذراء والغادة الحسناء وقطرات المطر تظهر عليه وهي منزلقة عنه كالريق الذي يجري في ثغر الحسناء أو كبياض أسنانها.

---

١ – المصدر السابق، ص(٣٠).

٢ – التهامي، ديوانه، ص(٣٠).

وتنهال هذه التشبيهات مصبوبة في أبيات شعرية ناصعة، كأنها حمامة ساجعة، من الماء إلى الفقاقيع في بركة الماء إلى الليل الطويل والصبح البطيئ، ثم ينتقل بعد ذلك منتقلًا من حالة نفسية متعبة منهكة حين تحدث عن الحبيبة، إلى حالة نفسية رائعة ومعنويات عالية، فقد اقترب في قصيدته من الغرض الرئيسي للقصيدة ألا وهو مدح الممدوح وما يستتبع ذلك من عطايا جزيلة وهبات كثيرة وصلات سنية، وربما منصب كبير فمن يدري ما تخبئه الأيام لهذا الشاعر الطموح، فقد تغيرت نفسيته فتحول من حالة الكآبة والحزن إلى وصف مظاهر الطبيعة وما تحويه من تجدد وحياة ونور واشراق وما تستدعيه من فرح وسعادة.

فهذا الغيث النازل والنبات البارض والشكير يطل برأسه في أصول الشجر الكبار، وأما الغيوم فمثقلات بالماء والمعصرات الهاطلات بماء الحياة وبالغيث الغزير، واخضرار الأرض، وإكتسائها بثوب من السندس الأخضر الجميل، وارتدائها حلة من الثمار والأزهار الملونة الزركشة القشيبة، توصيفات ومناظر، تشفي العليل، وتبرد الغليل، وتريح الإنسان الكد الكليل، ولوحات ورسائم، تبهر الأبصار والنواظر وتظهر ما تكنه الأسرار والضمائر؛ ولأن شاعرنا كريم ليس بباخل فقد إنتقل إلى باب آخره الكناية.

الكناية:

فالشعراء يلجؤون للكناية لأنها لازم مهم لبناء النص الأدبي.

والكناية:

- **لغة:** «أن نتكلم بشيء ونريد غيره، وهي مصدر كالعناية والرماية والهداية»[١].
- **واصطلاحاً:** «أن تريد المعنى وتعبر عنه بغير لفظه أو أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه،

---

١ – عباس، فضل ، البلاغة، مرجع سابق، ص (٢٤٧)

مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي»[١].

أركان الكناية:

أ- «اللفظ المكنى به.

ب- المعنى المكنى عنه.

ت- القرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء كانت هذه الإرادة ممكنة أم غير ممكنة»[٢]

وتبقى الكناية حلية لفظية ومعنوية يأتي بها الشاعر لإتمام البناء الشعري للقصيدة ولإثبات صفات معنوية أو ذات جاعلًا من هذه الصفة أو الذات محط الأنظار، لأن الكناية كما قرر كثير من أهل اللغة والأدب تكون أحيانًا أبلغ من الفصاحة[٣].

والآن حان الوقت لنتعرف على الكناية عند التهامي حيث يقول من قصيدة معنونة بـ – له قلم فيه المنية والمنى – يمدح بها هبة الله بن حيدرة القاضي:

ألمَّ وليليْ بالكواكبِ أَشْيَبُ خيالٌ على بعدِ المدَى يَتَأَوَّبُ[٤]

وكعادة شاعرنا التهامي فإنه يتغزل بالمحبوبة قبل الدخول إلى الغرض الأصلي من القصيدة فيقول: لقد ظهر لي خيال وطيف المحبوبة يتراقص من بعيد في ليل مليء بالكواكب

---

١ – عباس، فضل ، البلاغة، مرجع سابق ، ص(٢٤٧)

٢ – المرجع السابق ، ص(٢٤٧)

٣ – الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، سنة ١٩٩٠م، ص (٧٠)

٤ – التهامي، ديوانه، ص(٥٤).

والنجوم وهذا الوصف لليل بالإمتلاء بالكواكب كناية عن طول ليل الشاعر من شدة ما يكابده من سهر شوقًا إلى المحبوبة.

ويقول:

ألمَّ وفي جفني وفي جَفْنِ مُنْصِلِيْ غَرَارَانِ ذا نومٌ وذاكَ مُشَطَّبُ[١]

ويستمر الشاعر الجريح في الحديث عن طيف الحبيبة المتراقص أمامه، فيقول: تبدا لي هذا الطيف وانا ناعس وجفوني مطبقة، وفي سيفي ضعف فهو مشطب ناب كليل، فقد إستشرى الغرار والعناد في جفني وفي سيفي.

وفي هذا البيت كناية عن الحالة النفسية المنهكة المجهدة التي يعيشها الشاعر بعيدًا عن المحبوبة، فهو نائم وليس بنائم، وهو في ذات الوقت صاح وليس بصاح، وواضح هنا تمامًا الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر والتي تسمى في علم النفس بالإقدام والإحجام، فالحبيبة لا مقطوعة وهي ممنوعة، فلا وصل إلى وصالها، ولم يتركه خيالها بحاله لعله ينسى.

أُعاصي الهوى في حال نومي ويَقْظَتِي فسيَّانَ عندي وصْلُهَا والتَّجَنُّبُ[٢]

ويستمر الشاعر في وصف حاله مع محبوبته، حالة البعد الدائم، والفراق المستمر، وعدم الأمل في اللقاء القريب، معبرًا عن حالة نفسية تشبه إلى حد بعيد ما يسمى بعلم النفس بالإحباط، فيقول أخالف هواي في حلي وترحالي، وفي حالت صحوي ونومي، فما الفائدة من هذا الهوى

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٥٤).

٢ – المصدر السابق، ص(٥٤).

والحب إن لم يكن لقاء بين المحب والحبيب لا في الآجل القريب ولا حتى البعيد، وفي هذا البيت كناية عن بعد الدار وشط المزار، واستحالة اللقاء والقرار بين الشاعر ومحبوبته.

ويقول لحَى اللهُ قلبي مالَهُ الدَّهْرَ عاكفًا عليها ومن شأن القلوبِ التَّقَلُّبُ[١]

وهنا يقول: عاتب الله قلبي وسامحه، ولم يبقى الشاعر على طول الدهور والأزمان جاعلًا حب هذه الفتاة معبدًا يعتكف فيه على حبها وهي تهمله تاركة له مشتتًا في أودية الدنيا،لا سكن ولا قرار، ويقول إن شأن قلبي عجيب، فمن عادة القلوب التقلب والتغيير، ولكن قلبي ملازم لحب هذه الفتاة عجيبة الشأن، فهي إما فتاة غريرة لعوب، وإما ممنوعة من أهلها وهما أمران أحلاهما مر وكلاهما صبر.

وفي هذا البيت كناية عن إستغراق البعد وتوسعه بينه وبين محبوبته، فلقد وصل هذا البعد

ولكن إلى أين؟ لقد وصل إلى العمق.

ويستمر الشاعر قائلآ:

ثوى برهة في ثايةِ الحيِّ وانْبَرُوا فولَّوْا به في جانب الظَّعْنَ يَجْنُبُ[٢]

وتستمر الحكاية وتتعمق الكناية في وصف حالة الشاعر ومحبوبته، فهو يفاجئنا قائلا: ثوى، فيتبادر إلى أذهاننا أن الحبيب وصل، لكننا نعرف بعد قليل أن الذي ثوى في جانب الحي ليس الحبيبة وإنما طيفها، فقد جاء وليته مكث فلقد تنادى أهل الحبيبة وتكاتفوا،فحملوا هذا الطيف

---

١ – التهامي، ديوانه ، ص(٥٤).

٢ – المصدر السابق ، ص(٥٥)

وسافروا به وتركوني حائرًا أضرب أخماسًا بأسداسآ، فقد تعامل معي اهل الحبيبة بطريقة أيأستني منها كما يأس الكفار من أصحاب القبور، فلا فرق عندي بين الحب أو الدبور.

فلا أوحش الله منك أيتها الحبيبة البعيدة القريبة، الغائبة الحاضرة ، فلسوف أتدرع بالصبر، وألبس عباءة التغاضي، وأجعل اليأس لي ألين مهاد، فبعض اليأس أشفى وأروح، بل اليأس إحدى الراحتين، وأحلى الأمريّن.

ويقول من القصيدة نفسها:

لها مقلةُ في رؤيةِ العينِ مُقلةٌ وإن جُرِّبَتْ فهي الحسَاُم المُجَرَّبُ[١]

وهنا يكني الشاعر عن جمال محبوبته فيقول أن لها عيون ونظرات تبهر الأبصار، وتأخذ بالألباب ، وتأسر القلوب ، ويكني عن قوة نفسها وشدة شكيمتها، فمن أراد اختبارها فليفعل، فلسوف يجدها كالسيف الصارم لا يثنيها خوف الردى ولا قعقعة العدى، ويكني عن أفعالها فيقول:

وأسودها في القلب أسودُ سالخٍ وأبيضُها في الجسم أبيضُ مُقْضِبِ[٢]

يقول: هذه الحبيبة القادرة إن أرادت أن تعمل عملاً تضر به أحدهم فإنها تستطيع القيام بهذا العمل، ويكون مؤثراً أو شديداً، ويترك أثراً بالغاً في نفس من تعمل ضده، فتتركه حزيناً حائراً كلسعة الأفعى تأثيراً ، أما إن رضيت عن أحدهم فأرادت له الخير فإن لها القدرة كذلك على إرضائه وإمتاعه وإيناسه ، واختلاس لبه وسلب فؤاده.

---

١ – التهامي، ديوانه ، ص(٥٥)

٢ – المصدر السابق ، ص(٥٥).

ويستمر الشاعر الفنان في رسم اللوحة لمحبوبته فيقول من القصيدة نفسها

وما سَقْمُ جفْنَيْهَا بضائرِ طَرْفِها إذا صح غَرْبُ السيف فالجَفْنُ مُعْطَبُ[١]

مُعْطَبُ[١]

فهو يكني عن شدة جمالها بسقم الجفون وما يستتبع ذلك من نواعس الأحداق، فيقول: لا يغركم هذا فهو لا يضر منها الأبصار بل يزيدها جمالاً ودلالاً، فالسيفَ القاطعَ لا يضره الجفنُ المعطوبُ المهترئ.

ويلون الشاعر في لوحته بالريشة لوناً أصفر فيقول مكنياً به عن ألم الفراق الذي ألمّ بها وطاف ساعة الرحيل والبعد عن الحبيب والخليل ، فيقول:

ولم أنسها تصْفرُّ من غُربةِ النَّوى كما أصفرَّ وجه الشَّمس ساعة تغرب[٢]

فوجه الحبيبة قد اصفرّ خوف البعد والنوى ساعة الفراق ، كما الشمس تصفر ساعة الغروب وكأنها تأسى وتحزن على المكان الذي أشرقت عليه وغربت عنه.

ويعود مرة أخرى الشاعر الرسام ليضرب بريشته في لوحة جمال الحبيبة فيقول:

فقد شفَّ من تحت البراقع وجهها كما شفَّ من تحت الجَهامة كوكبُ[٣]

فقد ظهر وجهها لشدة ضوئه وجماله من تحت البرقع والنقاب ، ويقول لنا: لا غر وفي ذلك، ألا يشف ويظهر الكوكب لكم من تحت الغيمة الشفافة الرقيقة التي لا ماء فيها ولا مطر.

---

١ – التهامي، ديوانه ، ص(٥٥).

٢ –المصدر السابق، ص(٥٥).

٣ – المصدر السابق ، ص(٥٥)

فهذه محبوبتي تبدت للناس كالقمر ، فلا شيء يحول بين جمالها والناس حتى البراقع وقفت مشلولة اليدين والفكر فلم تستطع أن تقوم بالدور المرسوم لها وهو إخفاء جمال الغواني عن أعين الناس والفضلاء.

وهكذا تستمر الكناية في شعر التهامي تترى تترى، الواحدة تل والأخرى، راسماً بها لوحة جميلة تعجز عنها أيدي أمهر الرسامين، بألفاظ عذبة، سلسة، جميلة، وكلمات تشحذ الأذهان وتفتح الآذان، فهو ينزح من بئر بعيدة الغور مستخرجاً كل عقيلة كريمة ودرة يتيمة، معبراً أجمل تعبير عما يعتري ويجيش في صدور المحبين، وقلوب المصدوعين، مؤلفاً في نظمه السحر الحلال، والماء الصافي الزلال، مكوناً أبياتاً شعرية كعقود الجمان على صدور الحسان.

مبتدءاً بطيف محبوبته، وقد ألم به وطاف، وكيف خالفه ولم يحفل بهواه، مع أن قلبه عاكف أبداً على حب هذه الجميلة، ثم يذكر جمالها، وقوة أفعالها، ويذكر بعد ذلك خوفها من الفراق والغربة، فهو يفكر عن نفسية ودودة، تقدر من تحت وتحترمه، وتجد له العذر في الخطأ وتحب منه

الصواب، ولولا خوف الإطناب لمررنا على كنايات أخرى نستمتع بها وتستطاب، ولكن أزف الرحيل إلى عنوان جديد.

المحور الثاني: أنماط الصورة الفنية:

الصورة الفنية هي الركن الركين في الشعر، وهي أنماط، وإذا استقصينا شعر التهامي وجدنا فيه أنماطاً كثيرة للصورة الفنية، منها النمط التأثيري والانطباعي، والنمط الرمزي، والنمط التجريدي، وغير ذلك من الأنماط.

وبما أن أهم خصائص الشعر هي الذاتية الفردية ، فالقصيدة مهما تنوعت موضوعاتها وتشعبت أغراضها فإنها لا بد أن تعكس على صفحة وجهها شيئاً من التأثيرية والفردية، «فالصورة الحية هي التي تحتوي قدراً من التفرد الذاتي وآخر من الشمول الكلي»[١].

وعلى ذلك فإن أول باب نطرقه هو باب التأثيرية الذاتية والانطباعية؛ لأنها تشكل جسراً بين الخيال والمحسوس وما يتشكل بينهما من تأثير وانطباع.

فالتهامي يقول في القصيدة المعنونة بـ: (فتى يقع المدح من دونه) يمدح فيها أبا يحيى محمد بن حيدر بطرابلس:

ولولا التقى لبردت الغليل بماء الرضاب وماء الشنب[٢]

فالشاعر يقول: لولا تقوى الله تعالى لشفيت صدري وأبردت ناري وأطفأتها بريق الحبيبة

الأصفى من الماء والأشهى من العسل، وهنا نجد الذاتية الفردية واضحة كل الوضوح بعناصرها المعروفة، فهذه الصورة منطلقة من داخل الشاعر حيث جالت في فكره وذهنه الخواطر

---

١ –الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عمان، الأردن، سنة١٩٨٠م، ط١، ص(١٤٥).

٢ –– التهامي، ديوانه، ص(٢٨).

والأفكار، فصاغها في ألفاظ عذبة رقيقة وهذه الألفاظ قوالب لمعانٍ راقية سامية، وكل ذلك مصبوغ بصبغة عاطفية وجدانية رومانسية.

وهذا البيت الشعري جاء مسبوقاً بثلاثة أبيات شعرية يذكر فيها الشاعر أنه يفدي محبوبته، وهو يتحسر فقد ابتعد عنه الأحبة دون أن يوفيهم حقهم، ثم يأتي هذا البيت الشعري في التحام عضوي مع ما سبقه من أبيات، يوضح فيه الشاعر انطباعاته عن الحبيبة ومشاعره تجاهها، فهو العاشق الولهان، والمحب الهيمان، متعطش للثم الحبيب ورشف ريقه ولا يمنعه من ذلك إلا تقوى الله تعالى.

ويأتي التهامي بالصوة الرمزية فيقول القصيدة نفسها

ولي نَفَسٌ عند تَذْكاره يقوِّمُ عُوْجَ الضُّلوعِ الحُدُبْ[١]

فالشاعر هنا يرمز لحياة الصبا اللاهية الجميلة وللشباب وريعانه والأحبة ، فيقول: . ولي نفس . عندما أتذكره تدب الحياة من جديدٍ في أوصالي المنهكة وجسدي المتآكل وعظامي اللينة وضلوعي المعوجة.

وأما الصور التجريدية فما أكثرها في شهر التهامي حيث يقول القصيدة نفسها

أيا من ليلٍ ضعيف الهَرَب حَرُونٍ وصبحٍ بطيء الطلب[٢]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٢٨).

٢ – المصدر السابق، ص(٢٨).

وهنا يتفوق التهامي على نفسه، فيصف حاله بعد أن ذكر شدة شوقه للحبيبة وشدة بعدها عنه، وعظم اشتياقه لها، فيأتي لنا بصورة عجيبة نتخيله بها رجلاً والهاً محباً حائراً لا يدري ما يصنع ولا أي شيئ يستقر.

فهو يجرد من الليل شخصاً هارباً لكنه ضعيف هزيل بل حرون واقف مكانه لا يبرحه، ويجرد من الصبح رجلاً بطيئاً ثقيل الخطو، ضعيف الهمة ، فلا الليل ينقضي ولا الصبح يطلع، فالليل واسوداده وحلكته هجمت على هذا المحب العاشق كأمواج البحر المتلاطم وأطبقت على صدره فأثقلته بأنواع الهموم، فانتظر هذا الحيران الصبح ليشرق، لكن الصبح خيب ظنه وابطأ عليه، وفي هذه الصورة ما فيها من الثقل والهم.

المحور الثالث: مصادر الصورة الفنية عند التهامي:

والآن حان الوقت لنتعرف على مصادر وينابيع الصورة الفنية لدى التهامي فالناظر في شعر التهامي يلحظ عليه توشيحه لشعره بألفاظ من الحاضرة وأخرى من البادية وثالثة علمية ورابعة من الطبيعة.

فالتهامي المولود في مكة والمرتحل إلى بغداد والموصل وطرابلس والرملة والمتوفى في القاهرة، مع الفطنة الواعية والأذن الصاغية صار صدره صندوقاً حفظ به آلافاً من الألفاظ، ومع العقل الراجح واللب الناجح صاغ من جبال الألفاظ هذه صوراً أدبية رائعة ساوى بها غيره من الشعراء وتفوق على آخرين. والصورة الفنية كانت دائماً أقدام الشعر التي يقف عليها، ومسباراً دقيقاً يكشف لنا عن المعاني العميقة والجميلة لدى هذا الشاعر أو ذاك[١]، فبعد البحث في بنية الصورة

الأدبية وعناصرها.وأنماطها، كان لا بد أن ننيخ رحالنا في واحة مصادر الصورة الفنية عند التهامي.

فالتهامي البادي الحاضر، العربي المسلم، الذي عاش في بيئةٍ كريمة أصيلة تنظر للمرأة نظرة احترام وتقدير، فالمرأة عنده درة مصونة ، ولؤلؤة مكنونة، فإن كانت أماً فالجنة تحت أقدامها، وإن كانت بنتاً فالجنة ثمن تربيتها والاعتناء بها، وإن كانت حبيبة فلا سبيل للوصول إليها إلا بكلمة الله ورسوله ، فنراه يقول من قصيدة (نور الهدى وسكينة الإسلام) يمدح أبا الحسين بن حيدرة القاضي:

---

١ – الزبيدي، صلاح مهدي، بنية القصيدة العربية، عمان الأردن، دار الجوهرة، سنة٢٠٠٤م، ط١، ص(٨١–١٢٨)

نَفْسي الفداءُ للحظِهَا منْ رامٍ ولطرفِهَا منْ أنْصُلٍ وسهامِ[١]

فالشاعر يفدي بنفسه من كانت لحظاتها أمهر الرماة، أما عيونها فنصال سهامها أمضى نصال، فهي المسلحة من غير سلاح، الجارحة على رقتها.

ويقول في البيت الذي يليه:

ولثغرها من ضَوْءِ برقٍ لامعٍ لو اتْبَعَتْهُ لنا بصوبِ غَمَامِ[٢]

وهي إذا افترت فعن مثل الدر الحسان ، فكأنما الدنيا أشرقت شمسها، وصفا جوها، حتى وإن تبع ذلك مطر هاطل من عينيها ، فهي لا تزال الجميلة الكريمة.

وبعد هذا الشعر الرائق والغزل الفائق، يتبادر إلى الأذهان أن التهامي الشاعر المستهام ، إذا ما قدر على المحبوبة فإنه سوف يطبع على وجنتيها آلاف القبلات ويبرد غليله ويشفي صدره، ولكن الشاعر الملتزم المحافظ يفاجئنا حين يقول:

وأرى خيال العامريةِ إنَّه وافٍ إذا غَدَرَتْ بعَقْدِ ذِمَامِ[٣]

فالحبيبة إذا غدرت بعقد الحب بينه وبينها، فإن للتهامي طرقاً تجعل خيالها يزوره ويلم به، فالتهامي له قدرة عجيبة في إقناع طيف المحبوبة على زيارته.

ثم يقول واضعاً لبنة أخرى في صرح هذه الصورة الجميلة:

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٦٨).

٢ – المصدر السابق، ص(٣٦٨).

٣ –المصدر السابق، ص(٣٦٩)

فَلَثَمْنَنِي فجعلت ثمَّ تَحَرُّجًا بيني وبين اللثم ثَنْيُ لِثَامِي[١]

وهنا يظهر أثر البيئة العربية الكريمة، وأثر البيئة الدينية المحكمة واضحاً جلياً، فالخيال يقبل التهامي، ولكنه ومع كونه المحب الصادي إلا أنه تحرج أن يرد القبلة بالقبلة ، فما كان منه إلا أن احتمى وتترس بطي لثامه على وجهه.

ويستمر التهامي راسماً ماسكاً بريشته في دقة ورقة وإحكام فيقول:

وهجرت رشْفُ رضَابِهِنَّ لأنَّه خمرٌ ولست براشفٍ لُمدامِ[٢]

فلم يكتف بثني اللثام وإنما ترك رشف الريق والرضاب لأنه بدون الحلال خمر، والتهامي ليس ممن يشرب الخمر أو يستحلها، وهنا يؤكد أثر البيئة الدينية التي رضع من لبانها فيقول:

وَهَبوْهُ غيرَ الخمر لستُ بذائقٍ في فِعْلِيَ الشبهاتِ شبْهُ حرامِ[٣]

فالتهامي يؤكد، حتى لو فرضتم أن الرضاب غير الخمر فلست بذائق له البتة، ففي ديني ويقيني أنه شبهة وأن الشبهات حرام.

ويستمر موضحاً :

عفُّ الظواهر والضمائر لم أزل مُتَنَزِّهًا في يقظتي ومنامي[٤]

فأنا العفيف طاهر الأردان والأطراف، طيب السيرة والمسيرة، ظاهري عف تقي نقي وباطني عف تقي نقي ، وأني كذلك حتى في منامي بعد يقظتي.

ولا يتركنا التهامي ، السخي المعطاء نتجول في دروب شعره وطرقاته، متعبين منهكين، باحثين عن مصدر آخر من مصادر الصورة الأدبية عنده، بل يتحفنا بالتو واللحظة ببيت شعري

---

١ –التهامي، ديوانه، ص(٣٦٩)

٢ –المصدر السابق، ص(٣٦٩)

٣ – المصدر السابق، ص(٣٧٠).

٤ – المصدر السابق، ص(٣٧٠).

فاخر فيقول:

دع عنك ذكر العامريةِ إنه وأبيك مغْنَاطيسُ كلَّ غرامِ[١]

وفي هذا البيت الجميل يتجلى تأثر التهامي بالبيئة الحضرية والعلمية فيأتي بذكر المغناطيس فيقول: ويلي من هذه العامرية ، كيف النجاة منها، بل كيف الخلاص، وهي مغناطيس يجذب إليها القلوب رغماً عنها إن لم تأت طائعة مختارة.

ثم يثني بلفظة أخرى من الألفاظ الحضرية فيقول من نفس القصيدة في معرض مدح القاضي حيدرة:

لبقُ الأنامل بالرِّماح وطالما أغنى عن الأرماح بالأقلام[٢]

فالممدوح رشيق الحركة، وإن أمسك رمحاً فقد أمسك بتلابيب الموت الزؤام لإعدائه ، ولكن أقلامه وما يكتب بها من أحكام البراءة والإدانة، كثيراً ما أغنت وحلت محل رماحه وسلاحه.

والتهامي الشاعر الرحالة، الباحث عن المال والمجد ، والإمارة والسعد، شاعر أدمن السفر وحل لغزه ، وفك رمزه ، فقد صَعَّدَ في الجبال الشاهقة الساحقة، ونزل في الوديان العميقة السحيقة، وسار في السهوب والسهول فهو ابن الطبيعة ، فقد أحبها واكثر في شعره من ألفاظ الطبيعة، وأكثر من الصور المستوحاة من الأرض ونجودها ، وجبالها وسهولها وهضابها وذكر البحر والنهر والجدول ، ووصف الورود والزهور والرياحين، وتكلم عن الظباء والرشأ والغزلان، وتحدث عن الحصان والأسد.

فنراه يقول في قصيدة معنونة بـ: (لا فرق بين لسانه وحصانه):

وبنفسي الرشا الذي لحْظَاتُهُ في القلب أسرع من غِرَارِ حسامِهِ[٣]

حسامِهِ[٣]

فهو يفدي بنفسه غزالا، له لحظات لها في القلب أعظم وأسرع الفتكات، وهي في التأثير

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٧٠).

٢ – المصدر السابق، ص(٣٧٢.

٣ – المصدر السابق، ص(٣٨٧)

آية وفي السرعة غاية، لحظاتٌ جارحةٌ كلوم، ونظرات ثاقبة تدوم، كضربات السيف الموصلة للحتف بل هي أسرع وأوجع، وأفتك وأروع.

وحينما يخرج التهامي من الغزل الذي تعود عليه في قصائده ويصل إلى الغرض الرئيسي في شعره، وهو هنا مدح الوزير ابن الفرات ، نراه يستخدم لفظة الغمام دليلاً على كرم الوزير وسخائه ، فيقول القصيدة نفسها

قل للوزير ابن الفرات ولم تزل تتوكفُ الآمالُ صوبَ غَمَامِهِ[١]

فهو يتخيل رجلا يخاطبه فيقول له: قل أيها الرجل للوزير أن الآمال ما تزال تتوجه نح وعطائه وسخائه، وأن الفكر ناظر إليه قبل العيون.

إن صدَّني عنك الزمان فإنه صدٌّ أرى لقياكَ في أحلامه[٢]

فإن أبعدني عنك صروف الزمان ، وصدتني عن لقياك مصاعب الحدثان، فإن الروح ناظر إليك، والقلوب تهفو نحوك، ولن يعز علي اللقاء، فلسوف أراك في الأحلام بعيون الخيال.

ويقول من نفس القصيدة في معرض مدح الأمير:

وجمال وجهك في السفور فإنه وجه حكاه البدر عند تمامه[٣]

ويتحول الشاعر هنا من مخاطبة الصديق المتخيل إلى مخاطبة الوزير كفاحاً فيقول له: أيها الوزير إن أسفرت عن وجهك فإن وجهك بالغ النهاية في الحسن والبهاء، حتى أن البدر في عليائه يشبه وجهك تلألئاً ومهابة.

---

١ –التهامي، ديوانه، ص(٣٨٨)

٢ – المصدر السابق، ص(٣٨٨)

٣ – المصدر السابق، ص(٣٨٨)

كالبدر عند تمامه والغيث في إرْهامِهِ والليث في إقدامه[١]

إقدامه[١]

فالممدوح مرة أخرى جميلاً بهياً وهو في هذه المرة شاكل وجهه البدر، بعد أن كان البدر يحاكيه جمالاً في البيت السابق، وهو ليس جميلاً بهي الطلعة فقط، فهو كريم كالغيث المدرار، جسور كالأسد الهصور.

ويستمر الشاعر في استخدام مفردات الطبيعة مستكملاً بها عناصر الصورة في مدح ممدوحه من نفس القصيدة فيقول:

يا ابن الفرات وما الفرات بجدول من بحرك المورود فيضُ جِمَامِهِ[٢]

وهنا ينادي الشاعر الأمير ابن الفرات فيقول له بكنيته يا ابن الفرات، ثم يذكر الأمير أن اسمه على اسم نهر عظيم هو الفرات، فيقول لقد ماثل اسمك وفعلك النهر العظيم الزاخر، وهذا النهر ليس بجدول صغير، ضحل الماء، قليل الخطر، بل هو نهر جسيم الخطر، كثير الماء وهذا الفرات يستمد ماءه من غزير بحر جودك ولطيف بر إحسانك وكثرة نوالك.

ويستمر الشاعر في الاستمداد من الطبيعة ألفاظاً عذبةً وصوراً جميلة فيقول:

واسْلَمْ على رغْمِ الحوادث ما دعتْ وتجاوبتْ في الأيْكِ وُرْقُ حمامِهِ[٣]

فالتهامي بعد أن ينادي الأمير في البيت السابق، يدع وله هنا بالسلامة على كثرة الحوادث، وتتابع المصائب في الدنيا، فيقول له: اسلم أيها الأمير ما دعت وتنادت على الأغصان

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٨٩)

٢ – المصدر السابق، ص(٣٩٠)

٣ – المصدر السابق، ص(٣٩٠)

الورق، وما ناحت الحمائم وجاوبت بعضها بعضاً.

وهكذا نجد التنوع الكبير الذي استقى منه التهامي صوره الشعرية، فمن الثقافة الدينية، إلى البدوية ثم الحواضر التي عاش فيها، إلى الطبيعة بهوائها وأمطارها، فالتهامي يخلب لبه الزهر والورد، ويذوب في منظر النباتات والرياض.

وبالإضافة إلى كل هذا فان التهامي كان ذا ثقافة موسوعية انعكست على شعره، حيث

مكنته أن يسبك شعراً بأبهى حلة وأجمل صورة أدبية، وهذه الثقافة تحصل عليها التهامي من خلال إطلاعه على أشعار غيره فضلاً عن طول تجاربه في الحياة ومعرفته بها، وخبرته بالزمن وصروف الحياة وخطوبها، فمن حياة مكة المكرمة الملتزمة المحافظة إلى بغداد عروس الدنيا وحاضرتها التي امتزجت فيها الحضارات والثقافات وانصهرت بها الأمم الشعوب والأعراق، إلى الموصل وأجوائها وشخصيتها المستقلة، إلى المسؤولية الخطابية في الرملة، إلى القاهرة حيث السجن وهمومه والقيد وأثقاله، والليل الذي أناخ على قلب الشاعر، والخوف من الموت وترقبه غدوة وعشياً ، كل هذا وغيره صقل شخصية التهامي وأَحَدَّ ذهنه، وجعله ينسج شعراً راقيا وصوراً عاليةً .

المحور الرابع وظائف الصورة الفنية:

الشعر هو كل كلام مقفى موزون، هذا صحيح ولكن الشعر ليس كل هذا وحسب.

فالشعر في حقيقته وجدان متدفق، وفرح غامر أو حزن عميق، أو تجربة خالدة، أو حب كبير أو تضحية مجيدة، فالشعر ليس كلاماً يصاغ للتسلية واللهو، بل الشعر رسالة ومبدأ، وقديماً قيل الشعر ديوان العرب أي هو قاموس العرب والمترجم عن حياتهم طرائق عيشهم وطبيعتهم[١].

لذلك فإن للشعر وظائف كثيرة، وللشاعر منزلة عظيمة، إن كان في قومه أو بين العرب عموماً فهو الناطق الرسمي بلسان قبيلته، وهو المتحدث العسكري والإعلامي، ومن هذه النقطة فإننا نستطيع البدء في الحديث عن وظائف الصورة الفنية تحديداً في شعر التهامي.

فالصورة الفنية لها وظيفة نابعة من طبيعتها الأصلية المعتمدة على علم البيان والذي هو بدوره أحد أركان البلاغة العربية الأخرى، ومن أهم الوظائف:

أ- **الوظيفة الجمالية:**

الوظيفة الجمالية واضحة كل الوضوح في شعر كل شاعر ملتزم مبدع متفوق على نفسه، وبما أن التهامي من هذه النوعية من الشعراء المتفوقين المبدعين، فإن الوظيفة الجمالية ساطعة سطوع الشمس في شعر التهامي في ظاهرة في تشبيهاتهو كناياته واستعاراته ومجازه، وأحياناً قد يأتي التهامي بالوظيفة الجمالية ليجعلها تبرز وتطغى على كل ما سواها كقوله:

---

١ – ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، مصدر سابق، ص(١٣-٤٠)

تهيم ببدرٍ والتنقلُ والنَّوى على البدر محتومٌ فهل أنت صابرُ

له من سنا الفجر المُوَّرِدِ غُرَّةً ومن حُلَكِ الليل البهيم غدائرُ[١]

فالجمال في هذين البيتين من الشعر واضح لا لبس فيه، فالشاعر يقول: أنت تحب وتغرم ببدرٍ !فلك ذلك ولكن لا شيء بلا ثمن، وبغير مقابل فعليك أن تدفع ثمن هذا الحب والهيمان، فإن البدر جميل غاية الجمال، ولكن من أهم خصائصه وأخطر صفاته دوام التنقل والترحال والبعد والتجوال، فإن هذا السفر أمر محتوم مقدر لا مفر منه على البدر، فهل يا ترى تصبر على هذا الأمر الجلل؟، وهذا البدر أمره خطير فهو قد شابه الفجر ضياءاً ونوراً وبهاءاً، وأما غدائر شعر هذا البدر فهي كالليل الحالك سواداً.

ولك أن تتخيل وجهاً كفلقة القمر نوراً ووضاءة مبروزاً ببروازٍ أسود داكن من الشعر المنسدل على الأكتاف، فها هنا يظهر الجمال في الصورة وكأنه المراد من قول هذين البيتين الرائعين وكأن

الشاعر لا يتحدث للوهلة الأولى عن فتاة جميلة لها غرة شقراء ووجه أبيض وشعر وغدائر سود.

وكل هذا الأمر المتبادر إلى الذهن جاء عبر صورة أدبية غاية في الجمال والحسن فظننا لأول وهلة أن الجمال في الصورة هـ والمقصود وليس جمال المحبوبة ووضاءتها، فانظر إلى الجمال بل إلى سلسلة الجمال المترابطة المتراصة وراء بعضها البعض، فالألفاظ عذبة رقيقة، والمعاني جميلة والتشبيهات حسنة رقيقة، والوصف مناسب وجميل، وكل ذلك معبر عنه في عاطفة مشبوبة ووجدان متدفق.

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٩٥)

ويقول من قصيدة معنونة بـ: (لو مس حجراً) يمدح فيها أبا الحسين بن عبد الواحد القاضي:

لوجادهنَّ غداةَ رُمْنَ رواحًا غيثٌ كدمْعِيْ ما أرَدْنَ بَراحاً
ماتت لفقد الظاعنين ديارُهم فكأنَّهم كانوا بها أرواحاً[١]

فالتهامي يقول متغزلاً بأحباب له سافروا طلباً للكلأ والماء، ل وأن السماء أمطرت عليهم مطراً غزيراً مدراراً كدموعي حين انهلت ألماً على فراقهن، لما غادرن الديار التي أحببن ونشأن فيها بحثاً عن حياة أفضل، فديارهم ماتت وهمدت بعد مغادرتهم لها، وسكنتها الوحشة، فكأنهم كانوا لهذه الديار كالأرواح في الأجساد تعطيها الحياة، وتجعل منظرها جميلاً مؤنساً.

فانظر إلى كاف التشبيه وكأن، كيف صنعت في البيتين حياةً وحركةً، وانظر إلى التصريح بين رواحاً وبراحاً والموسيقى الناتجة عن هذا التصريح.وانظر إلى الطباق بين رمن وما أردن والطباق أيضاً بين رواحاً وبراحاً والطباق بين ماتت وأرواحاً، انظر كيف صنعت هذه المحسنات

البديعية حلية وموسيقى وتناغماً بين أجزاء البيتين الشعريين.

ب- **الوظيفة الاجتماعية:**

يقول التهامي في العتاب بقصيدة معنونة بـ: (لو حَرَّمَ الماء):

وكم من أخٍ لو حرَّم الماء لم أكن له ولو أني مت ظمآن شارباً
فظن بها ودَّهُ لي تطوعاً ووُدِّي له فرضاً عليَّ وواجباً

فاعتَقَنِي ذا الظن من سوء ملكه وكنت له عبداً فأصبحت صاحباً

ومن ظن أن لا بد منه أريته بصبري عنه ذلك الظن كاذباً[٢]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٦٩)

٢ _المصدر السابق، ص(٤٢٣-٤٢٤)

أبيح لخلي من فؤادي جانباً وأترك للهجران إن كان جانباً

على أنني ألقاه بالبشر حاضراً وأحفظه بالغيب إن كان غائباً

وتلك سجايا لي أعم بها العدى وأشرك فيهن العدى والأقاربا[1]

فها هنا الشاعر التهامي يتحدث عن قضية اجتماعية وهي تتلخص فيما يحدث بين الأصحاب والأصدقاء من تواصل وتباعد وقرب وهجر وملاسنة وعتاب فيقول: هنا أصدقاء لي لو

وامتلكوا الماء ثم ظننت أني ثقيل الظل عليهم فاستكثروا علي شرب الماء الذي يتملكون لحرمت على نفسي شرب هذا الماء ول وخرجت نفسي وازهقت روحي عطشاً على أن أكون ذليلاً أو في موقف ضعف أمام هذا الصديق، وخصوصاً إن ظن هذا الصديق أن قربه مني تطوعاً منه وكرماً منه علي، وقربي منه فرض علي وواجب ولازم.

وهذا الظن تخلصت منه، فبدل أن أكون عبداً لصاحبي استكفيت أن أكون صديقاً وحسب، إن أعجبه هذا فحباً وكرامة، وإن لم يعجبه فقد حفظت كرامتي وماء وجهي، ومن ظن من الأصحاب أني محتاج له فلسوف أريه الدليل تل والدليل أني مستغنٍ عنه وأن ظنه قد كذبه.

وقلبي سوف أقسمه نصفين . قسمة العدل . فنصف قلبي سوف أعطيه لصديقي إن كان مستحقاً والنصف الآخر سوف اجعله مسكناً للهجر لهذا الصديق إن كان غير مستحق للود والحب والقرب، ومع ذلك فإن صديقي هذا وإن بدر منه ما يزعجني فلسوف أبقى ألقاه بالبشر والسن الضاحك، وإن غاب عني فلسوف أحفظ غيبته فلا أذكر عيبه ومثالبه.

وهذه الطباع التي فيّ من تقدير الناس وحفظهم أعمها حتى على الأعداء، وهذه الطباع

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٢٣–٤٢٤)

الحسنة ليست حكراً على فكثير من الناس يتصفون بما اتصف به من صفات وسجايا.

وهكذا فإن التهامي بهذه الأبيات الشعرية يسطر لنا صورة جميلة عن قضية اجتماعية شهيرة هي قضية العتاب بين الأصحاب، وقضية الود والهجران وما يعتري العلائق بين الأصحاب من قضايا ومشاكل.

ونرى بهذه الأبيات البناء المحكم وكأنها لبنات بعضها فوق بعض، وكأن الشاعر يقص لنا

قصة لها مقدمة وعرض وخاتمة ، فالشاعر يبدأ بالحديث عن شعور صديقه وينتهي بالحديث عن سجايا تعم الأقارب والأباعد ، ذاكراً بين ذلك الأحوال والأشياء التي تحدث بين الأصدقاء من صد وهجران وتلاق وإحسان.

ت- الوظيفة الإعلامية:

ولعل هذه الوظيفة للشعر في عصر التهامي هي الوظيفة الأوضح والأبرز في دنيا الشعراء، وذلك لقلة الوسائل الإعلامية الأخرى التي ننعم بها في عصرنا الحاضر.

ولذلك وجب أن تكون هذه الوظيفة واضحة المعالم، لا لبس فيها ولا تشويش، ولا محاباة فيها ولا مواربة ، فالشاعر الصادق ضمير عصره والمخبر الصادق عن الشخوص التي التقى بها وتحدث عنها وعن الزمان الذي عاش فيه والأماكن التي انتقل إليها وقطن فيها.

ولعل كل قصيدة للتهامي مدح بها رجلاً ظهرت فيها الوظيفة الإعلامية للشعر ، فالشاعر حين يمدح أحدهم فإنه بمثابة خبر[١] يضعه بين يدي الناس يتناقلونه ويتداولونه بينهم على مر

---

١ التهامي، ديوانه، ص(٣٨٥)

العصور وكر الدهور، فهو حين يقول في قصيدة معنونة بـ: (هو الجبل العالي) يمدح بها حميد بن محمود:

فَلَمْ أَرَ مثلَ اليُمْنِ رَبَّ إمارةٍ حميدَ بن محمودٍ حليفُ كلامِ

هو الجبل العالي الذي شرفاتُهُ تُعَلَّى على أسس النُّجوم النَّواجمِ[١]

هنا تبرز الوظيفة الإعلامية واضحة فمن من جمهور الناس يعرف الأمير حميد بن محمود لو لم يقم الشاعر التهامي وأمثاله من الشعراء بمدح الأمير، والتنويه بفضائله والتعريف به، فلولا شعر التهامي لعرف هذا الأمير مساحة جغرافية صغيرة حيث حكم، ولعرف به على مدى زمن قصير هو مدة حكمه، ولكن بتسطير اسمه في شعر شاعر كبير كالتهامي، سمع بهذا الأمير القاصي والداني، والبعيد والقريب، وعرفوا كذلك كثيراً من صفاته فهو الأمير المحالف لكرام الأمور، وهو الجبل العالي وشرفاته وفضائله تناطح السماء وتعلو على النجوم الظاهرة في كبدها.

ث- الوظيفة الدينية:

الوظيفة الدينية أو الوعظية أو الإرشادية تظهر عند التهامي أوضح الظهور في مراثيه لولده أبي الفضل أو حين يتحدث عن الزهد في الدنيا وحطامها ، والترفع عن الدنايا وأغلالها، فنراه يقول بقصيدة معنونة بـ: (السفر البعيد):

شقِيت بما جمعت فليت شعري ورائي من يكون به سعيداً[٢]

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٣٨٥)

٢ المصدر السابق، ص(٤٤٠)

أعاين حسرةً أهلي ومالي إذا ما النفس جاوزت الوريداً

أُعدُّ الزَّاد من تقوى فإنِّي رأيت منيَّتي السفر البعيدا

تبدل صاحبي في اللحد مني وهال على مناكبيَ الصعيدا[١]

وودَّعني وعزَّ عليه أنَّي أودعه وداعاً لن أعودا

فلو أبصرتني من بعد عشر رأيت محاسني قد صرن دوداً

وحيداً مفرداً يا رب عفواً بعبدك حين تتركه وحيدا[٢]

هنا تظهر النزعة الدينية الوعظية واضحة تماماً في هذه الأبيات الشعرية ، فالشاعر يقول أنه قد شقي في جمع ماله والموت يترصد به ، ويتساءل حائراً من سيسعد بهذا المال المجموع فإني في يوم لابد قادم سوف أفارق الأهل والمال فواحسرتي على ما فرطت في جنب الله ، وأضعت العمر في جمع حطام الدنيا.

ويا ليتني بدل جمع المال جمعت التقوى فهي الزاد يوم الرحيل وهي العدة والعتاد حين ألاقي الموت الزؤام ، وحين يصبح مسكني التراب لن أجد الصاحب الذي يؤنسني غير عملي الصالح ، والصديق العزيز هو الذي يهيل التراب عليّ ويسوي قبري بمسحاته ، وقلبه يقطر دماً حيث يودعني وداعاً لا لقاء بعده.

فيا صاحبي لو أبصرتني بعد عشر ليالٍ في قبري لرأيت العجب العجاب ، فمحاسن الوجه زالت ، والأحداق على الوجنات سالت ، وأصبح جسدي المعطار مرتعاً للدود يسرح فيه ويمرح ، لا

---

١ التهامي، ديوانه، ص(٤٤٠)

٢ – المصدر السابق، ص(٤٤٠)

صاد له ولا راد ، فيا أيها الصاحب اتعظ مني ومن مصيري فانا وحيد فريد في قبر مظلم فيا رب عفوك بعبدك الميت الذي لا يملك من أمره شيئاً ، فلا حول ولا قوة له أبداً في حياته وحين مماته.

ويقول في رثاء ولده بالقصيدة الشهيرة المعنونة بـ: (يا كوكباً ما كان أقصر عمره):

حكم المنيَّة في البريَّة جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ

بينا يرى الانسان فيها مخبِرًا ... حتى يُرى خبراً من الأخبارِ

طُبِعَتْ على كدَرٍ وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدارِ

ومُكَلِّفُ الايام ضد طِباعها ... مُتَطَلِّبٌ في الماء جَذْوَةَ نارِ

وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ

فالعيش نومٌ والمنيَّة يقظةٌ ... والمرء بينهما خيالٌ سارِ

والنَّفس إنْ رضِيَتْ بذلك أو ... أبت منقادة بِأَزِمَّةِ المقدارِ[١]

فاقضوا مآربَكُم عجالاً إنَّما ... أعمارُكُمْ سفرٌ منَ الأسفارِ

وتراكضوا خيلَ الشَّبابِ وبادروا ... أنْ تُسْتَرَدَّ فأنهنَّ عوار[٢]

وهكذا تمضي بقية الأبيات من هذه القصيدة الفريدة التي بلغت شهرتها الآفاق بمسحة وعظية تذكر الإنسان بمصيره الذي لابد لاقيه ، فقد حكم على البشرية بالهلاك والانتقال من هذه الدار الفانية إلى الثانية الباقية ، فبينما الإنسان يوماً يخبر عن موت غيره لابد أن يأتي يوم يُخبر

---

١ – التهامي، ديوانه، ص(٤٦١–٤٦٢)

٢ – المصدر السابق، ص(٤٦١–٤٦٢)

فيه عنه.

والناس يريدون الراحة في الدنيا ولا سعادة ولا هناء فيها فقد رتبت الدنيا لتكون دار ابتلاء لا دار راحة ، والذي يريد الراحة فيها كن يطلب النار من الماء ، فالراحة في الدنيا هي الطلب المستحيل، والعيش نوم فإذا مات الإنسان انتبه وعَلِم عِلْمَ اليقين أن الدنيا دار الغرور والآخرة هي دار الحق ودار البقاء الأبدي، والنفس إن رضيت بهذا المصير أو رفضت لا بد وأن تشرب من كأس المنون شربة تطيح بعرش النفس وتزهق الروح وتكون جواز سفرٍ لمغادرة الدنيا الغرور والجواز إلى الآخرة، فإذا علمتم أيها الناس أحوال الدنيا كما ذكرتها لكن فاستعدوا وشمروا للرحيل فلا بد يوماً وأن تزف ساعة الرحيل ، وتسافروا عن هذه الدنيا بتذكرة ذهاب بلا عودة.

فأسرعوا وبادروا وسابقوا قبل أن يذهب منكم ريعان الشباب فلم تصلحوا أموركم وتهيئوا أنفسكم، فإن هذه الأجساد والأنفس عوارٍ من الله تعالى عندكم ، ولا بد يوماً أن تسترد هذه العواري.

وهكذا يمضي الشاعر في بناء هذه النصيحة ، وإنشاء هذه الموعظة ، مستخدماً ما أوتي من مواهب وملكات في تحقير شأن الدنيا والتزهيد فيها والتعظيم من شأن الآخرة ، حتى ليلحظ المتلقي حين سماع هذه القصيدة أن محكمة عظيمة الشأن معقودة يرأسها قاضٍ حازم هـ والموت وأن ردهة المحكمة واسعة فسيحة يجلس فيها كل الخلائق منتظرين لساعة الصفر ، ساعة توديع الدنيا والانطلاق نح والآخرة ، وإنها لصورة مروعة يصورها لنا شاعر مبدع مفجوع حصدت يد المنون طفله حين بدأ يفصح في الكلام ، وظهر للناس طفلاً نجيباً عقد عليه والديه الآمال.وهكذا نجد الصورة الفنية متعددة الوظائف ، وقد تكون هذه الصورة التي يصورها الشاعر صورة واضحة

لا لبس فيها ولا خفاء ، وقد تكون صورة مخفية مضمنة ، تحتاج من المتلقي أن يعيش مع الشاعر أحاسيسه ومشاعره الفياضة ليتلقط تردد الشاعر وذبذباته ليفهم هذه الصورة المخبئة في ثنايا الشعر ، وليكتشف حينئذ الوظائف الحيوية للصورة الأدبية ودلالاتها الدينية والثقافية والإجتماعية والإعلامية إلى غير ذلك من الدلالات والوظائف.

وعند هذا الحد ينتهي بنا التطواف في عالم التهامي الزاخر، ويأتي لنا الأمر بالخروج من جوه الآسر، فنسأل الباري جل في علاه ، أن يكون قد أنعم علينا أن نوضح بياناً ونثبت برهاناً، وفتحنا منغلقاً وكشفنا ستراً، وأزحنا غطاءً عن التهامي الشاعر.

الخاتمة :

بما أن الشاعر لا يفهم بعيداً عن شعره و لا يفهم شعره إلا إذا درس من خلال زواياه المتعددة ، فقد قمت بدراسة التهامي من خلال سبعة عناوين رئيسية تتفرع لعشرات العناوين الفرعية مغطياً بذلك لمستويات متنوعة أثرت في بنية و تركيبة شعر التهامي .

و قد توصلنا إلى معظم الأهداف التي أردناها من خلال هذه الدراسة و التي كان من أهمها:

الاقتراب أكثر من التهامي و شعره ، فالتهامي المولود في مكة و الناشئ في اليمن و المتنقل في معظم أقطار الخلافة العباسية عبر رحلة طويلة شاقة صقلت موهبته و أثارت أحساسه فأخرج أجمل ما عنده من صور و تعبيرات جعلته يحوز على مرتبة عالية بين شعراء زمنه ،والمتتبع لشعر التهامي يجد قصة حياة التهامي و خصوصاً في عناوينها الرئيسة موجودة فيه واضحة ، كذلك يستطيع المتلقي عموماً و الناقد خصوصاً أن يتعرف و يحلل شخصية التهامي من الناحية الدينية و الأخلاقية و النفسية ، فعلى سبيل المثال على طول ديوان التهامي لا نجد بيتاً واحداً في الهجاء و إنما نجد المديح يملأ صفحات الديوان مما يعبر عن نفسية غير تصادمية تكره المجادلة و المشاحاة و تحب أن تواجه الناس بما يحبون و هذا مبدأ ديني و أخلاقي ،و التهامي الحافظ لكتاب الله ، الشعبي المنغمس في الحياة الاجتماعية ، و الواصل لمرتبة عليا في المناصب و السيادة جاء شعره معبراً عن الواقع الذي عاش فيه فقد سار في الطريق من أوله و كان لو ساعدته الأقدار أن يصل إلى آخره ولكن جاء أجله قبل حصول المطلوب .

و إذا كان لمعظم الشعراء لقب عرفوا به حتى غطى على أسمائهم فإن أبا الحسن التهامي إذا أردنا اطلاق لقب عليه فلا نجد أفضل من لقب شاعر الصورة الأدبية ، فقد أكثر منها و نوع فيها و ابتكر،إن التهامي لم يكن شاعراً فقط و إنما كان خطيباً مصقعاً ، و فارساً هماماً ، وسياسياً طامحاً للمجد ، فقد اتخذ من علو

همته مطيةً ركبها للوصول بها لمعالي الأمور ، ولكن حان الأجل و لم يسعفه القدر فمضى لسبيله شامخاً رافعاً رأسه.

و ختاماً فقد كانت هذه الرسالة ثمرة جهد كبير لاختيار العنوان و جهد أكبر في تأليف الرسالة حتى انتهت بما عليه الآن راضياً من الله تعالى القبول ثم من المتلقي الإستحسان و عسى أن تكون هذه الرسالة حافزاً لغيري من الباحثيين على المضي قدماً واستكمال الطريق في دراسة التهامي.

والله المستعان و عليه التكلان.

المراجع

القرآن الكريم

١- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن الكرم ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٢- ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه: الطباع عمر فالروق، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

٣- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ج٣ ، سنة ١٩٩٠م.

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،(ت: خليل شحادة) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، بدون تاريخ.

٥- ابن النجار ، محب الدين البغدادي ، المستفاد من تاريخ بغداد ، تحقيق محمد مولود ، الرسالة ، بيروت.(د،ت).

٦- ابن النجار،محب الدين البغدادي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد،(تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (د، ت).

٧- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ، تاريخ دمشق ، دار المكتبة الظاهرية ، دمشق .(د،ت).

٨- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، (تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٩- ابن معصوم ، علي صدر الدين المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع تحقيق شاكر هادي شكر ، نشر و توزيع مكتبة العرفان ، بيروت ، ط١١.

١٠- ابن معصوم ، علي صدر المدني ، سلافة العصر ، دار صادر ، بيروت.

١١- ابو الفداء، عماد الدين بن اسماعيل بن علي، كتاب المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١.

١٢- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات،(ت: عدنان درويش – محمد المصري)، مؤسسة الرسالة – بيروت

١٣- الامام أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٩٦م.

١٤- أمين ، أحمد ، ظهر الاسلام، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، سنة ١٩٩٠م.

١٥- امين ، بكري الشيخ ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، سنة ١٩٩٠م.

١٦- الأوسي ، قيس اسماعيل ، أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين ، منشورات وزارة التعليم العالي ، بغداد ، سنة ١٩٨٩م.

١٧- الباخرزي، علي بن الحسين بن علي بن أبي الطيب، دمية القصر و عصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨- البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر،(تحقيق: محمد زهير بن ناصر)، دار طوق النجاة، ، ط١، بدون تاريخ.

١٩- بردي، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب مصر، بدون تاريخ.

٢٠- الجارم ، علي ، مصطفى أمين ، كتاب البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، بيروت ،لبنان ، ط ٧ .

٢١- الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، سنة ١٩٩٠م.

٢٢- الجرجاني ، محمد علي ، الاشارات و التنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، مصر سنة ١٩٩٧م.

٢٣- الجوابرة، فاطمة محمود،موسوعة الخلفاء،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط١.

٢٤- الجيوري ، سامي شهاب الدين ، شعر ابن الجوزي دراسة اسلوبية ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان ، سنة ٢٠١١م.

٢٥- حسن، حامد معروف، الشعر بنية وتشريحآ، مؤسسة الوحدة، دمشق سنة ١٩٨٧م.

٢٦- خفاجي محمد ، كتاب الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء الاسكندرية ، مصر ، ط١ ،سنة ٢٠٠٤م.

٢٧- خليل، إبراهيم محمود، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، المجلد٣٣، العدد٣، سنة٢٠٠٦.

٢٨- الذهبي، شمس الدين، كتاب العبر في خبر من غبر، (تحقيق ابو هاجر محمد زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٢٩- الذهبي،، شمس الدين، تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تحقيق عمر عبد السلم التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢، ١٩٩٢ م.

٣٠- الذهبي، محمد بن عثمان، الكبائر، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٣١- الرباعي ، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، الأردن ، ط١ ، سنة ١٩٨٠م.

٣٢- الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٢م.

٣٣- الربيع، محمد عبدالرحمن، تحقيق ديوان التهامي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ١٩٨٢م.

٣٤- الزبيدي، صلاح مهدي، بنية القصيدة العربية، عمان الأردن، دار الجوهرة، سنة٢٠٠٤م، ط١.

٣٥- الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر، عمان ، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٦- زريق، صفي الدين الحلي، محمود رزق، دار المعارف، مصر،ط٣.

٣٧- الزواهرة ، ظاهر محمد هزاع ، كتاب اللون و دلالاته في الشعر ، دار الحامد للنشر ، ط١ سنة ٢٠٠٨م.

٣٨- الزواهرة، ظاهر محمد هزاع، اللون ودلالاته في الشعر، دار الحامد للنشر، عمان، ط١، سنة٢٠٠٨م.

٣٩- السقاف العلوي بن عبد القادر، و مجموعة من الباحثيين ، الموسوعة العقدية ، موقع الدرر السنية ، سنة ١٤٣٣هـ.

٤٠- الصحناوي، هدى ، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجاً، دار الحصاد، سوريا، ط١ ، سنة ٢٠٠٣م.

٤١- الصفدي ، صلاح الدين ابن خليل أيبك ، دار صادر، بيروت ، لبنان، سنة ١٩٨٠م.

٤٢- ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف ، مصر، ١٩٨٦م.

٤٣- ضيف، شوقي ، عصر الدول والامارات ، ط١ ، سنة ١٩٨٦م.

٤٤- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط١٢، ١٩٨٦م.

٤٥- طالو ، محي الدين ، اللون علماً و عملاً ، كتاب دمشق للطباعة ، ط٣ ، سنة ٢٠٠٠م.

٤٦- الطرابلسي ، محمد الهادي ، خصائص الاسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، سنة ١٩٨٠م.

٤٧- الطريفي ، يوسف عطا ، شعراء العرب في العصر العباسي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان ،ط١ ، سنة ٢٠٠٧م.

٤٨- عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها و أفنانها علم البيان و البديع ، ط١٠ ، سنة ٢٠٠٥م ، الفرقان للنشر .

٤٩- عبيد، محمد صابر، رؤية الحداثة الشعرية، مطبعة السفير، عمان، ط١، ٢٠٠٥م

٥٠- عرفات، نجوى صبحي كمال الدين، أبو الحسن التهامي وشعره، بيروت، لبنان، طبعة جامعة القديس يوسف.

٥١- ١ عساف، عبد الله، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا، دار دجلة، سوريا، ط١، ١٩٩٦م،.

٥٢- عطوي محمد نجيب ، تحقيق ديوان التهامي ، دار الهلال ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٦.

٥٣- عطية ، سليمان ، تاريخ التعليم في فلسطين ، ط١ ، سنة ٢٠٠٦م ، دار صادر بيروت .

٥٤- عمران عبد اللطيف ، شعر أبي فراس الحمداني ، دلالاته و خصائصه الفنية ، دار الينابيع ، دمشق ط١ ، سنة ١٩٩م.

٥٥- الغضفريّ، منتصر عبدالقادر، كتاب الرحلة في شعر المتنبي، دار المجدلاوي، عمان، ٢٠١٢م.

٥٦- الفرزدق غالب بن صعصعة، ، ديوان الفرزدق، شرحه: عمر فاروق)، دار بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٩٩٧م

٥٧- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي ، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

٥٨- القزويني ، الامام الخطيب ، كتاب الايضاح في علوم اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ج١ ، ط٥ ، سنة ١٩٩٧م.

٥٩- القواسمة، هشام عطية، الرؤيا والتشكيل في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩م

٦٠- مقبل ، طارق ، آليات القراءة الأسلوبية للخطاب الشعري عند شوقي بغدادي ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سنة ٢٠١٢م.

٦١- نافع عبد الفتاح، الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٢- هوج، برويز موسى أجمد زادة، الرؤيا والتشكيل الفني في الشعر الحديث العربي والفارسي، أحمد مطر ومهدي إخوان ثالث، نموذجًا، دراسة تطبيقية ومقارنة. رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ٢٠١٤م

٦٣- وصيفي، عبد الرحمن محمد، تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا. سنة٢٠٠٨م.

٦٤- يموت ، غازي ، الفن الأدبي أجناسه و أنواعه ، بيروت ، سنة ١٩٨٩م.

المعاجم:

٦٥- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤١٤هـ .

٦٦- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨ سنة ٢٠٠٥م.

ABSTRACT
VISON AND FORMING IN POET OF ABO_ AL HASSAN ALTOUHAMI.

This paper is about the abbasid poet Abo_Al-Hassan Al-Touhmai , Ali bin Mohammed bin Fahed (360H-416H).

The one whom presence spread wide and filled the eyes and ears , and it's a literary artistic study named "The vision and forming in the poetry og Abo Al-Hassan Al-Touhami".

The study is aimed to show the beauty and art in his poetry , by studying his poetic language and artistic visions .

The study includes an introduction and a preface along with three chapters , where it talked in it's introduction about the importance of this study , and made the preface for defining this poet and his culture and era.

The first chapter came to study the vision in " Al-Tuhami" poetry , his intellectual , religious and moral visions .

The second chapter came to study the language beauties in his poetry focusing on his enunciation and it's properties.

And finally the third and last chapter talks about the artistic visions , it's types , sources and it's functions.